جامعـة اليرمـوك
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

القضايا الصوتية ومصطلحاتها بين علماء النحو وعلماء القراءات

The Phonetical Issues and Its Terms Between Arab Grammarian and Quranic Recitations.

إعداد
وسمي بن لافي بن فلاج الحربي

إشراف الدكتور
مصطفى طاهر الحيادرة

الفصل الصيفي
2015م

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

القضايا الصوتية ومصطلحاتها بين علماء النحو وعلماء القراءات

The Phonetical Issues and Its Terms Between Arab Grammarian and Quranic Recitations.

إعداد

وسمي بن لافي بن فلاج الحربي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة و النحو، جامعة اليرموك، إربد، الأردن

أعضاء لجنة المناقشة

مصطفى طاهر الحيادرة..... رئيساً ومشرفاً

أستاذ دكتور قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة اليرموك

عبد القادر مرعي بني بكر .....عضواً

أستاذ دكتور قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة اليرموك

عمر ابو نواس.....عضواً

دكتور قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الألمانية الأردنية

2015م

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الإهداء

وبعد أن أتم الله عليّ نعمته بأن استوت هذه الدراسة على سوقها، فلا بد لي أن أقدمها إهداء لمن هم عزيزون على قلبي، ماكثون في روحي،،، أهدي هذا العمل العلمي إلى:

والدي ووالدتي

رفيقة دربي

إخواني وأخواتي.

أصدقائي وزملائي.

إلى كل هؤلاء مع وافر من المحبة والإخاء.

الباحث

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الشكر والتقدير

الشكر أولاً وأخيراً، وظاهراً وباطناً لله الواحد الأحد، إذ لولا توفيقه سبحانه وتعالى لما أتممت هذا العمل، ولما وصلت إلى ما وصلت إليه من العلم والمعرفة.

ثم الشكر الجزيل، والثناء الجميل لشيخي وأستاذي الدكتور: مصطفى طاهر الحيادرة المشرف على هذه الرسالة، إذ بتوجيهاته السديدة، وآرائه الفريدة استطعت أن أصل إلى مرادي من العلم والمعرفة.

كما لا يفوتني أن أشكر الأساتذة الأجلاء، والعلماء الفضلاء أعضاء هيئة المناقشة على ما بذلوه من جهد في قراءة هذه الرسالة، وتدبر مواضعها، للوصول إلى عمل أكثر دقة، وأجود صنعة.

لكل هؤلاء أقدم شكري الجزيل، وخالص محبتي واحترامي.

الباحث

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فهرس المحتويات

الموضوع الصفحة

الإهداء ..... ج
الشكر والتقدير .....د
فهرس المحتويات..... هـ
الملخص باللغة العربية .....و
المقدمة 1
اهمية الدراسة 2
اسئلة الدراسة..... 2
هدف الدراسة..... 3
حدود الدراسة..... 3
منهج الدراسة..... 3
التمهيد 5
الفصل الأول منهج الفريقين في الحديث عن المصطلح الصوتي 15
الفصل الثاني: المصطلحات التي اتفق عليها الفريقان.....39
في مخارج الاصوات.....39
في صفات الاصوات 50
في أعضاء النطق والجهاز الصوتي.....63
في خصائص النطق 67
في الظواهر الصوتية المختلفة 72
الفصل الثالث: المصطلحات التي اختلف عليها الفريقان 84
في مخارج الاصوات.....84
في صفات الاصوات 95
في اعضاء النطق والجهاز الصوتي.....102
في الظواهر الصوتية المختلفة 104
الخاتمة والنتائج 113
المراجع 117
الملخص باللغة الانجليزية 123

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الملخص باللغة العربية

الحربي، وسمي بن لافي. القضايا الصوتية ومصطلحاتها بين علماء النحو وعلماء القراءات. رسالة ماجستير ، جامعة اليرموك، 2015. (المشرف: مصطفى طاهر الحيادرة)

تتناول هذه الدراسة الحديث عن المصطلح الصوتي بين علماء القراءات القرآنية، والنحاة، وذلك ضمن إطار زماني ومكاني يتمثلان بالقرون الأربعة الأولى، وبالمنطقة العربية من حيث التحديد المكاني، وبناء عليه فقد جاءت هذه الدراسة وفقاً لتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة كانت على النحو الآتي:

تناول التمهيد الحديث عن مفهوم المصطلح والمصطلح الصوتي، كما تناول الحديث عن طبيعة التعالق بين النحاة وعلماء القراءات القرآنية، وأبرز أولئك العلماء ضمن المدة الزمانية المحددة.

وتناول الفصل الأول الحديث عن منهج كل من الفريقين – النحاة وعلماء القراءات – في تناول الحديث عن المصطلح الصوتي، أما الفصل الثاني فتناول الحديث عن المصطلحات التي اتفق عليها الفريقان، في حين تناول الفصل الثالث الحديث عن المصطلحات التي اختلف عليها الفريقان، ضمن أبواب المستوى الصوتي المختلفة.

وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج التي من شأنها أن تكون موازية للجهد المبذول، كما توصلت إلى إيجاد علاقات تواصلية متينة بين علماء النحو وعلماء القراءات، وهو أمر لا يُستغرب، فعلماء القراءات أكثرهم تتلمذ على النحاة، وكذلك العكس بالعكس، فالنحاة تتلمذوا أيضاً على أيدي علماء القراءات القرآنية الكريمة.

الكلمات المفتاحية: القضايا الصوتية، علماء النحو. علماء القراءات.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المقدمة

الحمد لله العزيز الغفار، مكور الليل على النهار، والصلاة والسلام على سيد الأطهار، محمد المختار، وعلى آله الأبرار، وصحبه الأخيار، وبعد:

حين ننظر في طبيعة العلوم العربية التي نشأت بوضوح في نهايات القرن الأول الهجري، وبدايات القرن الثاني, فإننا دون شك سنلاحظ ذلك التشابك الوثيق بين هذه العلوم في أغلب الأحيان، فهذا علم أصول النحو يأخذ أفكاره من علم أصول الفقه، وهذا علم الرواية يأخذ بعض شروطه ومبادئه من علم رواية الحديث الشريف، وهذا علم القراءات يأخذ من علم النحو، والأمر بعكسه في علم النحو، فهو كثيراً ما يأخذ من علم القراءات، وهذا كله نابع من عقلية علمية تُوجِد كثيراً من الترابط بين هذه العلوم المختلفة والمتعددة.

وعلم النحو يأخذ كثيراً من علم القراءات ويعتمد على نتاجاته العلمية، وكذلك الحال في علم القراءات نفسه، فهو يأخذ كثيراً من علم النحو، إذ إن العلمين يعتمد أحدهما على الآخر اعتماداً كبيراً، بل يظهر لنا جلياً أن كثيراً من النحاة قراء، فهذا الكسائي قارئ من القرّاء السبعة، ونحوي عظيم، وهذا أبو عمرو بن العلاء قارئ أيضاً من القرّاء السبعة، وهو في الوقت نفسه نحوي بارع، وكذلك الحال مع يونس بن حبيب، فهو وإن لم يكن من السبعة فإنه قارئ من القراء، وهو نحوي عظيم أيضاً، والحال نفسه مع الأخفش والفراء.

وإذا تقدمنا في الزمن, فإننا نجد أن علماء التصنيف في نهايات القرن الثالث الهجري، والقرن الرابع الهجري قد صنفوا في النحو، وصنفوا في القراءات، مثل ابن النحاس، وأبي علي الفارسي، وابن جني.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إن هذا الارتباط الوثيق بين علماء القراءات وعلماء النحو يدفع الباحثين إلى النظر في طبيعة هذه العلاقة، وبيان أوجه التأثر والتأثير فيها، وتوضيح السمات العامة والملامح الرئيسة التي ينماز بها منهج كل من هذين الطرفين.

ومن هنا, فإن هذه الدراسة جاءت للحديث عن ملامح الاتفاق والاختلاف في المصطلح الصوتي بين علماء القراءات وعلماء النحو، خاصة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن هذين العلمين على ارتباط وثيق جداً أحدهما بالأخر.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تحاول الكشف عن طبيعة العلاقة الوثيقة في المصطلح الصوتي بين علماء القراءات من جهة، وعلماء النحو من جهة أخرى، كما تظهر أهميتها أيضاً في أنها تعالج واحدة من القضايا الحديثة في علم اللغة، ألا وهي قضايا المصطلح، إذ إنّ هذا العلم يتسم بالجدة والابتكار، كما يتسم بالتطور وعدم الثبوت، ومن هنا فمن الجدير بالباحثين أن يوسعوا هذا العلم بحثاً كي تتضح معالمه وضوحاً تاماً.

أسئلة الدراسة:

تنطلق هذه الدراسة في أساسها للإجابة عن السؤال الرئيسي الآتي:

- ما هي ملامح التوافق والاختلاف في المصطلح الصوتي لدى علماء القراءات القرآنية وعلماء النحو؟

ولكي تجيب الدراسة عن هذا السؤال الكبير فلا بد لها من أن تجيب على أسئلة فرعية أخرى وهي:

- ما ملامح المصطلح الصوتي عند علماء القراءات والنحاة؟
- ما منهج كل من الطرفين في الحديث عن المصطلح الصوتي؟
- كيف يمكن توجيه آراء علماء القراءات بما يخص المصطلح الصوتي؟
- كيف يمكن توجيه أقوال النحاة بما يخص المصطلح الصوتي؟

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هدف الدراسة:

وتهدف هذه الدراسة إلى توضيح ملامح الاتفاق والاختلاف بين علماء القراءات القرآنية وعلماء النحو في ميدان المصطلح الصوتي، وبيان مجالات التأثر والتأثير بين هذين الفريقين من العلماء، كما تهدف هذه الدراسة إلى توضيح ملامح المنهج المتبع لدى كل فريق من هذين الفريقين، وبيان الكيفية التي تعامل كل منهما مع المصطلح الصوتي.

حدود الدراسة:

وتتمثل حدود الدراسة بما يلي:

- الحد الزماني: ويتمثل بالقرون الهجرية الأربعة الأولى.
- الحد المكاني: ويتمثل بالمنطقة العربية، في الشام والحجاز، والعراق.
- الحد الموضوعي: ويتمثل في علم المصطلح الصوتي.
- الحد البشري: ويتمثل بعلماء القراءات القرآنية وعلماء النحو.

منهج الدراسة:

إن هذه الدراسة تعتمد منهجاً خاصاً من أجل الوصول إلى نتائجها، ومن أجل التمكن من تحليل الآراء المتعلقة بها، ويتمثل هذا المنهج بالمنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم أساساً على استقراء المادة اللغوية من مظانها، ومن ثم محاولة تصنيف هذه المادة من أجل الوصول إلى النتائج التقعيدية التي تمثل ثمرة هذه الدراسة، ولا يكتفي هذا المنهج بالوصف الخارجي السطحي لهذه المنظومة المتشابكة من الآراء والأقوال، وإنما يتعدى ذلك إلى تحليل هذه المادة بعد وصفها، وذلك كي تكون النتائج أكثر دقة.

ومن هنا فقد قُسّمت هذه الدراسة إلى تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، وهي على النحو الآتي:

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

التمهيد: ويتناول الحديث عن مفهوم المصطلح، والمصطلح الصوتي، وبيان الترابط بين علماء القراءات القرآنية وعلماء النحو، ثم الحديث عن أبرز علماء القراءات والنحاة ضمن المدة المحددة للدراسة.

الفصل الأول: ويتناول الحديث عن منهج الفريقين في تناول المصطلحات الصوتية، سواء أكانت عند علماء القراءات القرآنية، أم عند النحاة.

الفصل الثاني: ويتناول الحديث عن تلك المصطلحات الصوتية التي اتفق عليها علماء القراءات والنحاة، ضمن أبواب علم المصطلح الصوتي جميعها، في المخارج، والصفات، وأعضاء النطق، والظواهر الصوتية المختلفة، وخصائص النطق.

الفصل الثالث: ويتناول الحديث عن المصطلحات التي اختلف فيها علماء القراءات مع النحاة في أبواب علم الأصوات جميعها، سواء في مخارج الأصوات، أم في صفاتها، أم في أعضاء النطق والجهاز الصوتي، أم في خصائص النطق، أم في الظواهر الصوتية المختلفة.

وبعد هذا كله جاءت الخاتمة والنتائج لتبين أهم تلك النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

وأخيراً أرجو الله العزيز القدير أن يكتب في هذه الدراسة النفع والبركة، وأن يجعلها في ميزان حسناتي، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

التمهيد

شهدت القرون الهجرية الأولى تنوعاً كبيراً في نواحي العلوم المختلفة، خاصة بعد منتصف القرن الثاني الهجري، وحتى القرن الرابع الهجري، ففي هذه المدة الزمانية شهدت العلوم العربية ـ لغة وقراءة ونحواً وغيرها ـ تطوراً كبيراً، وانتقلت من مرحلة العشوائية والتبعثر إلى مرحلة التدوين والتنظيم، فصارت العلوم العربية أكثر تنظيماً، خاصة مع وجود التخصصية في بعض الجوانب العلمية.

ومن هنا, فإن هذه الدراسة تحاول أن تنظر إلى القضايا الصوتية بمصطلحاتها المختلفة والمتعددة وفق منظور طرفين كبيرين مهمين في العلوم العربية، يتمثل الأول بمنظور النحاة، ويتمثل الثاني بمنظور القراء، فلا شك أن هناك ترابطاً كبيراً بين المجموعتين، لكن الباحث يفترض بدءاً أن هناك بعض النواحي التي تفرق بين الفريقين، وهذه الدراسة تحاول الكشف عن ملامح الالتقاء والافتراق بين المجموعتين ضمن إطار الحديث عن القضايا الصوتية بمصطلحاتها المتعددة، وقبل الحديث عن هذا كله فلا بد للباحث من تمهيد يبين فيه أهم المصطلحات التي تتكون منها هذه الدراسة، التي سيكون لها مكانها ضمن صفحات الدراسة.

أولاً: مفهوم المصطلح والمصطلح الصوتي:

إن أبرز هذه المفاهيم التي ستدور في ثنايا هذه الدراسة يتمثل بالمصطلح والمصطلح الصوتي، لذا ففيما يلي بيان لمفهوم المصطلح والمصطلح الصوتي، فالمصطلح لفظ مأخوذ من

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الجذر اللغوي "صلح" وهو ضد الفساد، إذ يقال: صلح فلان، أي كان أمره إلى الصلاح، وهو نقيض الفساد[1].

ويقال اصطلح القوم، وتصالحوا، واصّالحوا، أي اتفقوا وتصالحوا، وجميع هذه الألفاظ بمعنى واحد[2].

ومن هنا, فإن معنى المصطلح مأخوذ من الفعل "اصطلح" وهو التصالح والاتفاق، فالمصطلح ما وقع عليه هذا الاصطلاح والاتفاق، فإن القوم اتفقوا على شيء ما، فهو مصطلح عليه.

ولا شك أن هناك علاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للمصطلح، فإن مفهوم المصطلح يعني ما اتفق عليه مجموعة من أصحاب فن واحد، أو علم واحد من المفاهيم الخاصة بذلك العلم، كأن يتفق أصحاب ميدان البحث اللغوي الصوتي على مصطلح الشديد للأصوات الانفجارية، أو مصطلح انفجاري للدلالة على هذا المفهوم والمعنى، فالمصطلح في هذه الحالة آتٍ من ذلك الاتفاق بين هؤلاء العلماء المختصين بهذا الجانب من العلم اللغوي[3]، وما ينطبق من كلام على المصطلح الصوتي ينطبق أيضاً على سائر العلوم الأخرى لغويةً كانت أم غير ذلك.

والمصطلح اللغوي عنوان كبير يحوي تحته عدداً من العناوين الاصطلاحية الأخرى، إذ يدخل تحته المصطلح الصوتي، والمصطلح النحوي، والمصطلح الصرفي، والمصطلح الدلالي،

---

[1]– انظر: ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسن: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة . مصر، 1979م، ج: 3، ص: 303.

[2]– ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم الإفريقي المصري: لسان العرب، دار صادر، بيروت . لبنان، الطبعة الثالثة، 1414هـ، ج: 2، ص: 517.

[3]– انظر: بشر، كمال: دراسات في علم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر، د.ت، د.ط، ص: 31.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وغيرها من الميادين الأخرى لعلم المصطلح اللغوي، فقولنا: المصطلح اللغوي عنوان كبير واسع يدخل تحته عدد من العناوين الأخرى المتفرعة عنه[1].

وبوصف علم الأصوات واحداً من الميادين العلمية التي تدخل ضمن إطار علم اللغة عموماً, فإن مصطلحات هذا العلم تختص به كاختصاص مصطلحات النحو بعلمها، أو مصطلحات الصرف بعلمها أيضاً، فهناك أيضاً المصطلح الصوتي، وهو ما يدل على تلك المفاهيم الداخلة ضمن علم الأصوات، فمثلاً مصطلح التنغيم حين يراد به المعنى الصوتي, فإنه يأخذ معنى مختلفاً عن سائر العلوم الأخرى، أو الميادين العلمية الأخرى، هذا المفهوم يختص بعلم الأصوات، فالمصطلح إذن مصطلح صوتي، ويتوجب على المعنى أن يكون دالاً على ما يدل عليه علم الأصوات في اللغة[2].

إن تلك المصطلحات الداخلة في إطار علم الأصوات يمكن أن نسميها بالمصطلحات الصوتية، إذ إن علم الأصوات يختص بدراسة تلك الأصوات، ودراسة الوسائل التي يمكن من خلالها الوصول إلى تلك المفاهيم والحالات الخاصة بتلك الأصوات، سواء تجريبياً أم آلياً، أم غير ذلك، فإن علم الأصوات علم شامل لكافة أشكال الوسائل الصوتية المستخدمة في دراسة الأصوات[3].

ومن خلال ما سبق كله يمكننا أن نلحظ ذلك الربط بين معنى المصطلح اللغوي والاصطلاحي، وذلك الربط بين هذه المعاني ومفهوم المصطلح الصوتي، فإن المصطلح يدل على اتفاق جماعة من أصحاب علم ما على مفهوم واحد للمعنى الواحد، والمصطلح الصوتي يدل على

---

[1]– السعران، محمود: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة . مصر، الطبعة الثانية، 1997م، ص: 14.

[2]– السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص: 159.

[3]– ليونز، جون: اللغة وعلم اللغة، دار النهضة العربية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، د.ت، ص: 88.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

اتفاق علماء الأصوات على معنى واحد ومفهوم واحد ولفظ واحد للمصطلح، فلا يدل مثلاً مصطلح الفونيم على غير معناه في علم الأصوات، ولا يدل مصطلح الألفون على غير معناه في علم الأصوات؛ لأنه إذا دل هذا المصطلح أو ذاك على غير معناه الموضوع له، والمصطلح عليه, فلا فائدة من وضع هذه المصطلحات.

ثانياً: الترابط بين علماء القراءات وعلماء النحو:

إنّ الحديث عن العلاقة الوثيقة بين علماء النحو وعلماء القراءات يقودنا إلى القول بذلك الترابط الشديد والوثيق بينهما، إذ إنّ علماء النحو يعتمدون كثيراً في آرائهم على أهل القراءات، والعكس بالعكس، فإنّ علماء القراءات يرجعون كثيراً إلى أقوال النحويين، فهذا يأخذ من ذاك، وذاك يأخذ من هذا، والعلاقة وثيقة بينهما إلى حد يمكن أن نصفها بالتلازم.

وهذا الترابط الشديد بين الطائفتين من العلماء وُجدت منذ النشأة الأولى لكلا العلمين، فالنحاة الأوائل كالكسائي وأبي عمرو بن العلاء، وابن عامر الشامي، وغيرهم ما هم إلا نحاة، فنجد مثلاً في كتب التراجم والطبقات حديثاً عن بعضهم كأبي عمرو بن العلاء، إذ يوصف بأنه النحوي القارئ، هذا يعني أنه قد اشتُهر بعلمي النحو والقراءات القرآنية[1]، مما يدل على التمازج بين هذين العلمين الأمر الذي جعل من أبي عمرو بن العلاء وأمثاله قادرين على قرن هذين العلمين ببعضهما بعضاً.

---

[1]– العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى: مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، 1427هـ، 2006م، ج: 3، ص: 315.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والأمر نفسه نجده عند كثيرين آخرين من علماء النحو والقراءات، كعلي بن حمزة الكسائي، وهو النحوي القارئ المعروف[1]، والأمر نفسه نجده عند هارون بن موسى عالم القراءة والنحو[2]، وكذلك الحال نفسه مع الإمام أبي بكر الرؤاسي، فهو أيضاً عالم في النحو والقراءات[3].

إن هؤلاء النحاة والقراء جميعهم يوصفون في كتب التراجم والطبقات بأنهم عارفون في علمي النحو والقراءات، مما يدل على ربطهم بين هذين العلمين المهمين في التراث العلمي العربي الإسلامي، سواء في الجوانب الصوتية، أم في الجوانب الصرفية، أم في الجوانب النحوية.

وإذا انتقلنا من القراء إلى غيرهم من أهل الاشتغال بالقراءات وأصحاب المصنفات فيها, فلا نكاد نجد كتاباً يتحدث عن النحو إلا ويتعرض للحديث عن القراءات القرآنية من قريب أو بعيد، وذلك من مثل كتاب: معاني القرآن للفراء، وهو كتاب لم يشتمل على الحديث عن معاني القرآن فحسب، بل تناول فيه المؤلف الحديث عن القراءات القرآنية، وأورد ضمنه آراءه النحوية التي يراها في الآيات القرآنية[4]، وهو مزج بين هذين العلمين في إطار بحثي واحد يتمثل بمادة القرآن الكريم.

ولا يختلف الحال في كتاب معاني القرآن للفراء عنه في معاني القرآن للأخفش، أو إعراب القرآن للنحاس، أو معاني القرآن للنحاس، أو كتب القراءات القرآنية ومعاني القرآن الأخرى، فإن أي

---

[1]– ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس: الجرح والتعديل، دائرة المعارف الإسلامية، حيدر أباد، الهند، ودار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، 1271هـ، 1952م، ج: 6، ص: 182.

[2]– انظر: الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت: تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، 1422هـ، 2002م، ج: 16، ص: 5.

[3]– الأثري، أكرم بن محمد زيادة: المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري، تقديم: علي حسن الأثري، دار الأثري، عمان . الأردن، ودار ابن عفان، القاهرة . مصر، الطبعة الأولى، د.ت، ج: 2، ص: 687.

[4]– انظر: ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد: الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت . لبنان، الطبعة الثانية، 1417هـ، 1997م، ص: 53 . 54.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بحث في علم القراءات القرآنية ومعاني القرآن يؤدي بالعالم أو الباحث إلى الحديث عن القضايا النحوية ذات الصلة بهذه العلوم القرآنية.

وليس الأمر مقصوراً على علماء القراءات والباحثين ضمنها دون علماء النحو واللغة، فكما كان علماء القراءات القرآنية مهتمين بحشد الآراء النحوية التي تدعم حديثهم عن القراءة القرآنية, فكذلك كان علماء النحو فقد كانوا يوردون حديثاً عن القراءة القرآنية في أثناء حديثهم عن القواعد النحوية التي هم في صدد الحديث عنها، وذلك في إطار الحديث عن الشواهد السماعية التي سُمعت عن العرب سواء أكان الحديث عن القراءة القرآنية في إطار الاستشهاد أم في إطار التقعيد، فهذا سيبويه مثلاً كثيراً ما يورد قراءة قرآنية في أثناء حديثه عن القاعدة النحوية، فيقول مثلاً قرأ أبو عمرو بن العلاء بكذا[1]، مستشهداً على القاعدة النحوية ومؤكداً ما سُمع عن العرب، وغير ذلك كثير في ثنايا كتابه، وأكثر ما يورده سيبويه وغيره من النحاة لا ينسبونه إلى قارئ بعينه، وإنما يكتفون بالقول: قُرئ كذا.

ومن خلال ما سبق يتضح لنا ذلك الترابط العميق بين علماء القراءات القرآنية من جهة، وعلماء النحو من جهة أخرى، ونقصد هنا بعلماء النحو علماء النحو القدماء بالمفهوم العام للنحو الشامل لكافة أشكال المستويات اللغوية: الصوتية، والصرفية، والنحوية، والتركيبية، والدلالية، وليس القصد بعلماء النحو المعاصر المتمثل بعلم التراكيب فحسب.

ولقد ظهر لنا أيضاً من خلال ما سبق ذلك الحرص العميق من الطرفين على المزج بين هذين العلمين: النحو والقراءات، فلم يكن الأمر مقصوراً على علماء النحو فحسب، ولم يكن

---

[1]– انظر: سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة . مصر، الطبعة الثالثة، 1988م، ج: 4، ص: 186.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مقصوراً على علماء القراءات فحسب، بل إن كلا الطرفين كان حريصاً على الاستفادة من هذين العلمين معاً دون تفرقة بينهما.

ثالثاً: أبرز القراء والعلماء المشتغلين بعلم القراءات في تلك المدة:

حين نريد الحديث عن أبرز هؤلاء القراء والعلماء الذين اشتغلوا بعلم القراءات القرآنية في القرون الأولى, فإنه لا يمكننا أن نفصل فصلاً حاسماً قاطعاً بين علماء القراءات من جهة، وعلماء النحو من جهة أخرى، غير أنه يمكننا بشيء من الاجتهاد أن نقسم هؤلاء العلماء إلى قسمين: علماء قراءات، وعلماء نحو، وذلك من أجل استقامة الدراسة، فمن غلبت عليه صفة البحث النحوي نسميه نحوياً، ومن غلبت عليه سمة البحث في القراءات القرآنية نجعله في دائرة علماء القراءات، وكما أشرنا من قبل, فإنه لا يمكننا أن نفصل بين الطائفتين فصلاً حاسماً قاطعاً، بل يمكننا أن نجتهد فحسب.

إن أول مجموعة من هؤلاء العلماء المشتغلين بعلم القراءات هم القراء أنفسهم، ويرتكز الباحث في دراسته هذه على القراء السبعة بالدرجة الأولى، وهم: ابن كثير المكي، ونافع المدني، وابن عامر الشامي، وأبو عمرو بن العلاء البصري، وحمزة الزيات الكوفي، والكسائي الكوفي، وعاصم بن أبي النجود الكوفي، فهؤلاء هم القراء السبع[1]، وأكثر الاعتماد عليهم في هذه الدراسة إنْ وجدنا لهم آراء في القضايا الصوتية ومصطلحاتها، إذ ليس فيهم من وضع كتاباً في اللغة أو النحو في حدود علم الباحث.

وإذا انتقلنا إلى الفئة الثانية من هؤلاء العلماء المشتغلين بعلم القراءات, فإننا نجدهم أصحاب المؤلفات الذين وضعوا كتباً في علوم القراءات المختلفة، سواء أكانت كتبهم متخصصة

---

[1]– الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان: التيسير في القراءات السبع، تحقيق: أوتو تريزل، دار الكتاب العربي، بيروت . لبنان، الطبعة الثانية، 1404هـ، 1984م، ص: 4 . 8.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بعلم القراءات، أم كتب تفسيرية داخلة ضمن معاني القرآن، ونذكر منهم على سبيل الذكر لا الحصر: أبا زكريا الفراء، والأخفش الأوسط، وابن قتيبة الدينوري[1]، وابن مجاهد البغدادي[2]، وأبا جعفر النحاس[3]، وابن خالويه[4]، والأزهري[5]، وأبا علي الفارسي[6]، وأبا بكر النيسابوري[7].

وقد يتطرّق بعض المفسرين للحديث عن القراءات القرآنية، أو للحديث عن القضايا الصوتية المرتبطة بالقراءات القرآنية، خاصة في الحقبة المتأخرة من التفسير القرآني، غير أن ذلك لا يمنع الباحث من التعريض لبعض آراء المفسرين الذين يتطرقون لمثل هذه القضايا، مع الأخذ بعين الاعتبار البعد عن مثل هذه الآراء التفسيرية لبعدها عن حدود الدراسة.

رابعاً: أبرز النحاة في تلك المدة:

وتزخر هذه الحقبة من التاريخي اللغوي العربي بعدد من العلماء الذين تغلب عليهم سمة البحث النحوي، مثل: عمر بن عيسى الثقفي، والخليل بن أحمد الفراهيدي، وسيبويه، والمبرد، وابن السراج، وابن الوراق[8]، والسيرافي[9]، وابن جني في كتبه المختلفة المتعددة، وغيرهم من النحاة المتأخرين الذين لا بد للباحث من العودة إلى مصنفاتهم ومؤلفاتهم في اللغة والنحو.

---

[1]– في كتابه تأويل مشكل القرآن،.

[2]– في كتابه السبعة في القراءات.

[3]– في كتابيه: إعراب القرآن، ومعاني القرآن.

[4]– في كتابه: الحجة في القراءات السبع.

[5]– في كتابه: معاني القراءات.

[6]– في كتابه: الحجة للقراء السبعة.

[7]– في كتابه: المبسوط في القراءات العشر.

[8]– في كتابه: علل النحو.

[9]– في كتابه: شرح أبيات سيبويه.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وسيقوم الباحث بالبحث في طبيعة المصطلح الصوتي عند مجموعتين من العلماء، النحاة من ناحية، وعلماء القراءات القرآنية من ناحية ثانية؛ وذلك لأنّ ثمّة تقارباً شديداً بين هاتين الطائفتين من العلماء في طبيعة الحديث عن تلك المصطلحات الصوتية، فالأصوات عندهم جميعاً تختص ببحث منفرد عما سواها من العلوم المتعلقة بالنحو أو بالقراءات، إذ كان علماء النحو يدرسون أيضاً الأصوات ضمن كتبهم المختلفة، مثل: سيبويه، والمبرد، وابن السراج، وأبي علي الفارسي، وابن جني وغيرهم.

وكذلك الحال عند علماء القراءات، الذين اهتموا كثيراً بالحديث عن الأصوات، بل إنها كانت تحظى باهتمام بالغ من قبلهم، إذ من خلال فهم الأصوات يتمكنون من وصف الأداء القرآني على وجهه الأتم والأكمل، وذلك منذ بدء البحث في ميدان القراءات القرآنية عند الأخفش، والفراء، وابن النحاس، وابن خالويه، وغيرهم.

وستحاول الدراسة أن تتناول كافة الجوانب المتعلقة بالقضايا الصوتية ومصطلحاتها عند هؤلاء العلماء بدءاً من أعضاء النطق والجهاز النطقي، ثم وصف الأصوات العربية، والحديث عن صفات تلك الأصوات، وبيان ألقابها، ومن ثم الحديث عن الظواهر الصوتية المختلفة، كالإدغام، والإمالة، والنبر، والمماثلة الصوتية، والمخالفة الصوتية، والتسهيل في الجهد، وغيرها.

وسترتكز الدراسة على إيجاد تصور عام عن القضايا الصوتية ومصطلحاتها عند هؤلاء العلماء، وذلك من حيث:

أولاً: أوجه الاتفاق بين هؤلاء العلماء جميعاً في المصطلح الصوتي، وطبيعة هذا المصطلح عندهم، وما هي النظرة العامة لدى النحاة وعلماء القراءات إلى مصطلحات الأصوات المختلفة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثانياً: أوجه الاختلاف بين النحاة من جهة، وعلماء القراءات من جهة ثانية، وذلك في نواحي المصطلح المختلفة، ومحاولة ترجيح بعض الآراء على بعضها، وبيان أفضلية بعض المصطلحات على المصطلحات الأخرى.

ثالثاً: سمات المصطلح الصوتي عند هؤلاء العلماء.

رابعاً: تبيين أي المجموعتين كانت أشمل في الحديث عن المصطلح الصوتي، أهم النحاة، أم علماء القراءات.

خامساً: توضيح أهم المشكلات التي واجهت هؤلاء العلماء في نواحي المصطلح الصوتي.

سادساً: تبيين أبرز الملامح المنهجية التي سار عليها هؤلاء العلماء في حديثهم عن المصطلح الصوتي.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الأول

منهج الفريقين في الحديث عن المصطلح الصوتي

يشرع هذا الفصل في الحديث عن المنهج الذي اتبعه كل فريق من العلماء في حديثه عن المصطلحات الصوتية ومفاهيمها، فلا شك أن لكل فريق من العلماء طريقته الخاصة في الاستدلال والتوظيف والتعريف، ولا بد لكل فريق من العلماء أن ينظر إلى ذلك المصطلح وفق منظوره الخاص، ووفق ما يخدم ميدانه العلمي الذي يتناول ذلك المصطلح ضمنه.

والمصطلح الصوتي شأنه في ذلك شأن سائر المصطلحات الأخرى ضمن ميادين العلم الأخرى، فإن علم الأصوات له مصطلحاته الخاصة به، وله مفاهيمه الخاصة به[1]، ولكل فريق من المتحدثين طريقته الخاصة في عرض ذلك المصطلح وبيانه.

والنظرة إلى جانب من جوانب اللغة أو مستوى من مستوياتها لا تكون منفردة عن سائر المستويات الأخرى، بل لا بد للمتحدث عن المستوى النحوي أن يتطرق ولو بشيء يسير للحديث عن المستوى الصرفي والمستوى الصوتي، وكذلك الحال مع المتحدث عن المستوى الصرفي، والمتحدث عن المستوى الصوتي، فإن مستويات اللغة يتداخل بعضها مع بعض لتشكل الجوانب التركيبية والبنائية والتطريزية والتصويتية التي تحتاجها عناصر اللغة لتكون الكلام المنطوق، ولتؤدي اللغة دورها المنوط بها[2].

غير أنّ هذا التداخل والتشارك بين مستويات اللغة كافة لا يصل إلى حد التشابك الذي لا سبيل إلى معرفة حدوده الناظمة له، بل هو تمازج بين مستويات اللغة كافة للوصول إلى هدف

---

[1]– ينظر: السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص: 159 . 160.

[2]– ينظر: ليونز: اللغة وعلم اللغة، ص: 138.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

واحد؛ يتمثل بهدف اللغة التواصلية أساساً، فإن المتحدث عن المستوى الصوتي ضمن المستوى النحوي لا يكون حديثه إلا بمقدار ما يخدم مستواه النحوي التركيبي، والحديث عن المستوى الصرفي لا يكون إلا بمقدار ما يخدم الحديث النحوي، وهكذا، فإن النحاة يتحدثون مثلاً عن الجوانب الصوتية بما يخدم هدفهم الخاص بجوانب الإعراب كافة، فإن الفتحة والضمة والكسرة ما هي إلا أصوات، ويتناولها علم الأصوات بالتفصيل، غير أن النحاة يتحدثون عن هذه العناصر التصويتية بما يخدم الفكرة الإعرابية لديهم، وليس بمقتضى علم الأصوات نفسه[1].

ومن ناحية أخرى، فما دام حديث النحاة عن الأصوات لا يكون إلا خدمة للقضايا النحوية، فإن منهجهم في ذلك سيتميز بميزات خاصة بهذا الهدف، وما دام الهدف واضحاً, فإن المنهج يسير تبعاً لهذا الهدف، ويكون وصف النحاة لتلك الأصوات خدمة لقضايا نحوية مختلفة كالإبدال والإدغام وغيرها من القضايا النحوية المشتركة بين المستويات اللغوية كافة، وهذا ما كان واضحاً جلياً عند سيبويه (ت: 180هـ) مثلاً بوصفه أول النحويين تصنيفاً في علم النحو[2].

وما ينطبق على علماء النحو ينطبق من الناحية الأخرى على علماء القراءات، فإنهم يستفيدون من علم الأصوات بما يخدم منهجهم العلمي البحثي الذي يتناولونه، فحديثهم عن القضايا الصوتية يأتي خدمة لقضايا القراءات القرآنية، وقد تختلف بعض الأحكام التصويتية عندهم، فمثلاً الأصل في صوت اللام الترقيق، غير أن علماء القراءات يشيرون إلى أن صوت اللام يدخله التفخيم إذا لم يُسبق بصوت الكسرة في لفظ الجلالة، فإذا لم يُسبق بأي من أصوات الكسر, فإن صوت اللام يدخله التفخيم في لفظ الجلالة، كما يجيز علماء القراءات تفخيم اللام إذا تلاها صوت

---

[1]– ينظر: بشر: دراسات في علم اللغة، ص: 202.

[2]– ينظر: حسان، تمام: اللغة العربية معناها ومبناها، دار عالم الكتب، بيروت . لبنان، الطبعة الخامسة، 1427هـ، 2006م، ص: 53، وما يليها.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

من أصوات الفتحة، وسبقت بصوت مطبق، مثل: الصلاة، والطلاق، والظلام، والضلال، فإن اللام في هذه الكلمات وفقاً لما يقوله علماء القراءات تفخم ولا تُرقق[1].

ولا يشترط بعلماء القراءات أن يتناولوا مثلاً الحديث عن كافة الجوانب الصوتية بدءاً من مخارج الحروف وانتهاء بكافة الظواهر الصوتية الأخرى، وإنما كان حديثهم بناء على ما يخدم موضوعاتهم، فقد تحدّثوا مثلاً عن صوت الهمزة كثيراً، سواء في جانب تحقيقها، أم تخفيفها، أم تسهيلها، أم قلبها، وذلك لأن هذه الهمزة لها موضع واسع في دراساتهم المتعلقة بالقراءات القرآنية، فكان حديثهم عنها، وتناولهم لها نابعاً من أهميتها في ميدان القراءات القرآنية[2].

وبناء على هذا كله، فإن الباحث يصل إلى فكرة رئيسية تحكم هذا الفصل، ألا وهي أن لكل فريق من العلماء منهجا خاصا؛ يتبعونه في استعمال أدواتهم العلمية ضمن مستويات اللغة كافة. وهذا المنهج يأتي خدمة لأهدافهم اللغوية التي يسعون لتحقيقها؛ فالنحويون يتحدثون عن الأصوات وفقاً لمنهج خاص يخدم فكرتهم النحوية، وعلماء القراءات يتناولون موضوعات علم الأصوات بما يخدم أيضاً فكرتهم العلمية المتمثلة بالحديث عن القراءات القرآنية، وما ينطبق على هذين الفريقين من العلماء ينطبق على سائر الميادين العلمية الأخرى؛ فكل فريق يأخذ من العلم ما يخدم ميدانه العلمي.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

---

[1]– عبد التواب، رمضان: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة . مصر، الطبعة الثالثة، 1417هـ، 1997م، ص: 48.

[2]– القادوسي، عبد الرازق بن حمودة: أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية تاج العروس نموذجاً، رسالة دكتوراة، جامعة حلوان، إشراف: رجب عبد الجواد إبراهيم، مصر، الطبعة الأولى، 1431هـ، 2010م، ص: 113.

أولاً: منهج النحاة في الحديث عن القضايا الصوتية ومصطلحاتها:

لكل فريق من العلماء، كما سلف الحديث، وجهة نظر خاصة يتبناها حين يريد أن يتحدث عن فكرة ما مشتركة بينه وبين مجموعة أخرى من العلماء، ووجهة النظر هذه التي يتبناها ذلك الفريق من العلماء تمثل الجانب المخصوص بالبحث ضمن ذلك الحقل العلمي، وهذا ما قد نطلق عليه بشيء من التجوز منهجاً علمياً متبعاً في الحديث عن ذلك الحقل العلمي، ومثال المصطلح الصوتي وقضاياه ضمن هذه الدراسة واضح تماماً، فالنحاة يتناولون القضايا الصوتية ومصطلحاتها بما يخدم الحقل النحوي، وعلماء القراءات يتناولون هذه القضايا ومصطلحاتها بما يخدم علم القراءات، وفيما يلي سنعرض لأهم السمات المنهجية التي يتسم بها منهج النحاة في الحديث عن القضايا الصوتية ومصطلحاتها، وذلك كما يلي:

1 . يُفرد النحاة قسماً خاصاً للحديث عن بعض القضايا الصوتية ومصطلحاتها في كتبهم النحوية، علاوة على تلك الملحوظات المبثوثة في ثنايا الكتب والأبواب الأخرى، وهذا القسم الذي يخصّ بعض القضايا الصوتية يشتمل على الحديث عن القضية بأكملها تقريباً، كما نرى ذلك مثلاً في حديث سيبويه (ت: 180هـ) عن مخارج الأصوات في العربية؛ إذ بيّن أن مخارج الحروف وصفاتها في العربية ستة عشر مخرجاً، ثم عدّدها كلها، ولم يجعلها مبثوثة في ثنايا كتابه[1].

والأمر ذاته لا نجده عند سائر النحاة الذين جاؤوا بعد سيبويه (ت: 180هـ) كالمبرد (ت: 285هـ) مثلاً، فقد أفرد حديثاً خاصاً عن مخارج الأصوات، وبيّنها وفقاً لمخارجها؛ بناء على

---

[1]– سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة . مصر، الطبعة الثالثة، 1408هـ، 1988م، ج: 4، ص: 433، ومابعدها.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

توزيعها في جهاز النطق[1]، والأمر ذاته يظهر عند ابن السراج (ت: 316هـ)[2]، وابن جني (ت: 392هـ)[3].

ولا يقتصر الحال عند مخارج الحروف والأصوات فحسب، بل يتعداه إلى الحديث عن صفاتها أيضاً، فقد أفرد النحاة قسماً خاصاً للحديث عن صفات الحروف والأصوات العربية، وبيان ما يتعلق بها من جوانب الجهر والهمس والشدة والرخاوة، وغيرها من الصفات؛ إذ يقول سيبويه (ت: 180هـ) في جزء من حديثه عن تلك الصفات: " فأما المجهورة فالهمزة، والألف، العين، والغين، والقاف، والجيم، والياء، والضاد، واللام، والنون، والراء، والطاء، والدال، والزاي، والظاء، والذال، والباء، والميم، والواو. فذلك تسعة عشر حرفاً. وأما المهموسة فالهاء، والحاء، والخاء، والكاف، والشين، والسين، والتاء، والصاد، والثاء، والفاء. فذلك عشرة أحرف"[4].

أفرد سيبويه (ت: 180هـ) في نصه السابق حديثاً عن صفات هذه الحروف والأصوات، ولم يترك كلامه عنها سياقياً وفق ما يقتضيه الكلام، بل قام بفرش هذه الصفات فرشاً، قبل أن يتعرض لبعض القضايا الصوتية التي من شأنها أن تحتاج بياناً لصفة بعض الأصوات دون بعضها الآخر.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

---

[1]– المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي: المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، دار عالم الكتب، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، د.ت، ج: 1، ص: 192، وما بعدها.

[2]– ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري بن سهل: الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، د.ت، ج: 3، ص: 400 . 401.

[3]– ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي: سر صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، 1421هـ، 2000م، ج: 1، ص: 60 . 61، والخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة . مصر، الطبعة الرابعة، د.ت، ج: 1، ص: 192 . 194.

[4]– سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 434.

ونجد الأمر ذاته عند النحاة اللاحقين الذين تابعوا سيبويه (ت: 180هـ) فيما ذهب إليه من إفراد قسم خاص من كتابه للحديث فيه عن صفات تلك الأصوات؛ فالأمر نفسه نجده عند المبرد(ت: 285هـ) [1]، وابن السراج(ت: 316هـ)[2]، وابن جني(ت: 392هـ)[3].

فمن جملة منهج النحويين في الحديث عن القضايا الصوتية ومصطلحاتها أنهم يجعلون لها أقساماً؛ يبيّنون فيها أصوات كل قسم، ويجملون الحديث فيها عن سمات عامة لتلك الأقسام بخصوصيتها.

2 . إفراد هذه الأبواب أو الأقسام للحديث عن القضايا الصوتية لا يعني أن النحاة لم يتعرضوا لبعض تلك القضايا المنفصلة؛ بوصفها عنصراً مهماً في الحديث عن تلك الأصوات، وإنما نجد مجموعة كبيرة من الملحوظات التي ترد عند النحاة من قبيل الحديث عن صوت واحد بنفسه، أو مجموعة متماثلة من الأصوات في مخارجها أو صفاتها، أو بعضاً مما يتعلق بها، ولكن ليس ضمن باب خاص بموضوع الأصوات، أو ضمن حديث شامل عن تلك الأصوات، بل لا يعدو الأمر في جملته ملحوظة عامة عابرة في ثنايا حديث النحاة عن بعض القضايا، وهي ميزة تميز بها منهج النحاة في حديثهم عن القضايا الصوتية ومصطلحاتها، فمثلاً نجد أن المبرد (ت: 285هـ) يصف لنا صوت الهمزة، ويصف مخرجها؛ فيبين أنها قريبة المخرج من مخرج الألف[4].

---

[1]– المبرد: المقتضب، ج: 1، ص: 194.

[2]– ابن السراج: الأصول في النحو، ج: 3، ص: 401 . 404.

[3]– ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج: 1، ص: 76، والخصائص، ج: 1، ص: 194.

[4]– المبرد: المقتضب، ج: 1، ص: 139.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ونجد أن أبا علي الفارسي (ت: 377هـ) يتناول الفرق بين الطاء والتاء والدال من جهة، والسين والزاي والصاد من جهة أخرى؛ إذ يقول: "الذي بين الظاء وأختيها، والصاد وأختيها، من أن مخرج الظاء أشد نزولاً إلى أطراف الثنيتين قليل"[1].

يمثل هذا الكلام من أبي علي الفارسي (ت: 377هـ) وصفاً سريعاً لستة أصوات في العربية في مخرجها، ولا يمثل تناولاً عاماً لجميع أصوات العربية، والأمر ذاته نلحظه مثلاً عند الزجاج (ت: 311هـ)، حين يتحدث لنا عن مخرج اللام، ويبين أنها تقارب في مخرجها الراء والنون، فإن مخرج اللام من طرف اللسان، والراء والنون كذلك الحال، وهناك تقارب شديد بين هذه الأصوات الثلاثة في العربية[2].

وتكون هذه الملحوظات العامة بالنسبة للنحاة ضمن حديثهم عن قضايا صرفية أو نحوية، كالحديث مثلاً عن الإبدال، فابن الوراق (ت: 381هـ) يبيّن أن سبب إبدال الواو من الباء في بعض حالات الإبدال، عائد إلى طبيعة المخرج المتقارب بين هذين الصوتين، فلما تقارب مخرجهما جاز إبدالهما في العربية[3].

ونجد ابن جني (ت: 392هـ) أيضاً في حديثه العام عن القضايا اللغوية يُعرّج على بعض الملحوظات الصوتية التي قد تتعلق في بعض الأحيان بمخارج الحروف مثلاً، أو بصفاتها، فيبين في خصائصه أنه رغم الاختلاف في الصفة بين الطاء والتاء إلا أنهما من جملة مخرج واحد، ولا

---

[1]– الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار: التعليقة على كتاب سيبويه، تحقيق: عوض بن حمد القوزي، الطبعة الأولى، 1410هـ، 1990م، ج: 5، ص: 194.

[2]– الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهوندي: اللامات، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر، دمشق . سوريا، الطبعة الأولى، 1405هـ، 1985م، ص: 152.

[3]– ابن الوراق، أبو الحسن محمد بن عبد الله بن العباس: علل النحو، تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشد، الرياض . السعودية، الطبعة الأولى، 1420هـ، 1999م، ص: 112.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يختلفان إلا في الصفة[1]، فكلام ابن جني (ت: 392هـ) هذا يمثل ملحوظة عامة عند حديثه عن الأصوات، ولم يكن ضمن قسم خاصّ بذلك.

3 . يبين النحويون الغاية التي من أجلها تحدّثوا فيها عن الأصوات؛ سواء في مخرجها، أم في صفاتها، وذلك من أجل بيان مواضع الإدغام فيها؛ يقول سيبويه (ت: 180هـ) في ذلك: " وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات؛ لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه، وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه، وما تبدله استثقالا كما تدغم، وما تخفيه وهو بزنة المتحرك"[2].

ومن هنا, فقد تابع النحاة سيبويه (ت: 180هـ) في غايته تلك التي وضعها لذكر أصوات العربية في مخارجها وصفاتها؛ إذ نجد ذلك عند ابن السراج(ت: 316هـ)[3]، وابن جني (ت: 392هـ) [4].

4 . يغلب على منهج النحاة في ذكر مخارج الأصوات العربية خصوصاً ذكر المخرج، ومن ثم ذكر الصوت الخارج منه، أو ما يسمونه بالحرف؛ إذ لم يفرّق النحاة في هذه المدة الزمنية– مدة الدراسة– بين الحرف والصوت؛ إذ نجد أن سيبويه (ت: 180هـ) مثلاً يبين مخارج الحروف فيقول: " ولحروف العربية ستة عشر مخرجا.

فللحلق منها ثلاثةٌ. فأقصاها مخرجاً: الهمزة والهاء والألف. ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء. وأدناها مخرجاً من الفم: الغين والخاء.

---

[1]– ابن جني: الخصائص، ج: 2، ص: 132.

[2]– سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 436.

[3]– ابن السراج: الأصول في النحو، ج: 3، ص: 404.

[4]– ابن جني: الخصائص، ج: 1، ص: 196.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف.

ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف.

ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء.

ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد.

ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فويق الثنايا مخرج النون.

ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام مخرج الراء.

ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء، والدال، والتاء.

ومما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج الزاي، والسين، والصاد.

ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال، والثاء.

ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى مخرج الفاء.

ومما بين الشفتين مخرج الباء، والميم، والواو.

ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة"[1].

يظهر لنا من خلال كلام سيبويه (ت: 180هـ) السابق كيف أنه ذكر تلك المخارج العربية للأصوات، وبيّن كل مخرج، ثم بيّن مجموعة الأصوات التي تخرج من ذلك المخرج، فالبداية عنده بذكر المخرج، ومن ثم ذكر الصوت الخارج من ذلك المخرج، وليس الأمر عكساً، فلا يذكر الصوت ثم يذكر مخرجه مثلاً.

---

[1]– سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 433 . 434.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتابعه المبرد (ت: 285هـ) في هذا المنهج، غير أنه حين انتهى من ذكر هذه الأصوات ومخارجها ذكر بعض الأمور التي تخصّ بعض الأصوات، فبيّن أن صوت الواو يهوى في الفم حتى يتصل بصوت الطاء والضاد، ويتفشى في الفم حتى يتصل بصوت اللام، والميم ترجع إلى الخياشيم بما فيها من غنة، فهذه الأمور تصل بعض الأصوات ببعضها[1].

ولم يختلف الأمر عند ابن السراج(ت: 316هـ)[2]، وابن جني(ت: 392هـ) [3]، فقد تبعا منهج سيبويه (ت: 180هـ) في ذكره لمخارج الأصوات وتوزيع كل مجموعة من الأصوات على ذلك المخرج.

5 . يعتمد النحاة في حديثهم عن صفات الأصوات على بيان لمجموعة الصفات التي تشمل الحروف كلها، فيبدؤون بالحديث عن الصفات التي تحمل وجهين متضادين: كالجهر والهمس، والشدة والرخاوة، فيذكرون الحروف التي تنضوي تحت هذه الصفة؛ إذ يقول سيبويه (ت: 180هـ) مثلاً: "فأما المجهورة فالهمزة، والألف، العين، والغين، والقاف، والجيم، والياء، والضاد، واللام، والنون، والراء، والطاء، والدال، والزاي، والظاء، والذال، والباء، والميم، والواو. فذلك تسعة عشر حرفاً.

وأما المهموسة فالهاء، والحاء، والخاء، والكاف، والشين، والسين، والتاء، والصاد، والثاء، والفاء. فذلك عشرة أحرف"[4].

وقد يكون الكلام عن هذه الصفات مقتضباً في بعض الأحوال، كما نجد ذلك عند المبرد(ت: 285هـ)، فقد أجمل الحديث عن هذه الصفات دون توزيع للحروف عليها، فبين أن الصفات جهر

---

[1]– المبرد: المقتضب، ج: 1، ص: 194.

[2]– ابن السراج: الأصول في النحو، ج: 3، ص: 399 . 401.

[3]– ابن جني: الخصائص، ج: 1، ص: 192 . 194.

[4]– سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 434.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهمس، وشدة ورخاوة، وإطباق وانفتاح، وقلقلة، ولم يذكر حروف كل صفة من هذه الصفات، بل جعل ذلك في مواضعه عند الحديث عن هذه الحروف[1]، وهو مختلف عن سيبويه (ت: 180هـ) في ذلك.

أما ابن السراج (ت: 316هـ) فقد انتهج منهج سيبويه (ت: 180هـ) في حديثه عن صفات الأصوات في العربية[2]، وكذلك الحال عند ابن جني(ت: 392هـ) [3].

6 . ونجد حديث النحويين عن أعضاء النطق مبثوثاً في أثناء حديثهم عن مخارج الحروف أو صفاتها، فلم يُفردوا حديثاً خاصاً عن تلك الأعضاء التي تخص النطق، وقد يتطرّق بعضهم للحديث عن شيء من هذه الأعضاء الخاصة بالنطق عند حديثه عن بعض القضايا الصرفية مثلاً، كما نجد ذلك عند ابن الوراق (ت: 381هـ) حين تناول الحديث عن التصغير، فبيّن شيئاً من أعضاء النطق، وذلك إذ يقول: " اعْلَم أَنه وَجب ضم أول المصغر لوَجْهَيْنِ: أحدهما: أَن أصغر الحركات الضَّم، لِأَنَّهَا تخرج من بَين الشفتين وتنضم عَلَيْهِ الشفتان، وَلَيْسَ الْفَتْح كَذَلِك، وَلَا الْكسر، لِأَن الْفَتْح يخرج من الْحلق، وَمَا خرج من الْحلق لَا يُوجب انضمام الشفتين، وَالْكَسْر يخرج من وسط اللِّسَان، وَلَا يُوجب ذَلِك انضمام الشفتين، فَجعلُوا الْحَرَكَة الصُّغْرَى أولى بالمصغر، ليشاكل مَعْنَاهُ. وفتحوا ثَانِيه، لِأَن الْفَتْح متسع الْمخْرج وَفِيه بَيَان الضَّم"[4].

اشتمل كلام ابن الوراق (ت: 381هـ) السابق على حديث عن دور الحلق واللسان والشفتين في إصدار الأصوات، وكان هذا الحديث ماثلاً عند بيان ظاهرة صرفية وهي التصغير؛ إذ إن ابن

---

[1]– انظر: المبرد. المقتضب، ج: 1، ص: 194.

[2]– ابن السراج: الأصول في النحو، ج: 3، ص: 401 . 404.

[3]– ابن جني. الخصائص، ج: 1، ص: 195 . 196، وسر صناعة الإعراب، ج: 1، ص: 75 . 76.

[4]– ابن الوراق: علل النحو، ص: 475.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الوراق (ت: 381هـ) اعتمد على هذه الأعضاء النطقية في بيان كيفية خروج صوت الضمة، والفتحة، ومن خلال هذا البيان استطاع أن يوضح لنا أهمية هذه الأعضاء في العملية النطقية.

7 . أما فيما يتعلق بالخصائص النطقية المختلفة كالسهولة واليسر، والخفة، والثقل، وغيرها من الخصائص النطقية؛ فقد كان حديث النحاة ماثلاً ببعض الملحوظات العامة في أثناء حديثهم عن الظواهر اللغوية المتعددة، دون إفراد موضوع يتناول هذه الخصائص النطقية، فنجد سيبويه (ت: 180هـ) مثلاً يتحدث عن الخفة قائلاً: " وهذه الثلاثة أخفى الحروف لاتساع مخرجها. وأخفاهن وأوسعهن مخرجاً: الألف، ثم الياء، ثم الواو"[1].

لم يتناول سيبويه (ت: 180هـ) في نصه السابق تعريفاً خاصاً بمفهوم الخفة، وإنما استطاع توظيف هذا المصطلح بشكل غير مباشر ضمن حديثه عن سمات أصوات العلة في العربية، فبيّن أيها أخفّ وأيها أثقل مقارنة بأختيها الأخريين.

والثقل أيضاً حاله كحال الخفة، فقد تناوله سيبويه (ت: 180هـ) ضمن حديثه عن بعض حالات الحذف في العربية؛ إذ يقول: "فلما كثرت الياءات وتقاربت وتوالت الكسرات التي في الياء والدال استثقلوه، فحذفوا، وكان حذف المتحرك هو الذي يخففه عليهم؛ لأنهم لو حذفوا الساكن لكان ما يتوالى فيه من الحركات التي لا يكون حرفٌ عليها مع تقارب الياءات والكسرتين في الثقل مثل أسيّدٍ، لكراهيتهم هذه المتحرِّكات. فلم يكونوا ليفروا من الثقل إلى شيءٍ هو في الثِّقل مثله، وهو أقل في كلامهم منه، وهو أسيديٌّ وحميريٌّ ولبيديّ"[2].

لم يفرد سيبويه (ت: 180هـ) في نصه السابق حديثاً عن الثقل بوصفها ظاهرة صوتية متميزة، وإنما أشار إليها إشارة عامة، ضمن حديثه عن حذف إحدى الياءات التي تكون في مثل:

---

[1]– سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 436.

[2]– سيبويه: الكتاب، ج: 3، ص: 371.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أُسَيّديّ؛ إذ لما توالت هذه الياءات والكسرات صار النطق بهذه الكلمة ونظيراتها صعباً ثقيلاً في اللسان، لذا لجأت اللغة إلى حذف شيء من هذه الكلمة حتى تتخلّص مما فيها من الثقل.

8 . أما فيما يتعلق بالظواهر الصرفية المختلفة كالإدغام والإمالة والنبر، وغيرها، فإننا نجد بعض هذه الظواهر قد أُفرِد له باب خاص أو مبحث خاصّ عند بعض النحاة، كالإدغام مثلاً، فقد أفرد له سيبويه (ت: 180هـ) حديثاً خاصاً في كتابه[1]، وكذلك الحال عند المبرد(ت: 285هـ)[2].

وحظيت ظاهرة الإمالة كذلك بباب خاصّ عند النحويين؛ إذ بيّن سيبويه (ت: 180هـ) أن الألف تمال في حالات خاصة بها، وذلك ضمن باب ما تُمال فيه الألفات[3]، وكذلك الحال نفسه نجده عند المبرد(ت: 285هـ)[4]، و ابن السراج(ت: 316هـ)[5]، وأبي علي الفارسي (ت: 377هـ)[6].

فهذه الأبواب التي أفردها النحاة للحديث عن بعض الظواهر الصوتية تدلّنا على أمور هي:

- أن هذه الظواهر أكثر ظهورا عندهم من سواها من الظواهر الأخرى.
- أن هذه الظواهر أكثر شيوعاً في الكلام العربي، فمن هنا أفرد لها النحاة حديثاً منفصلاً مفصّلاً ضمن كتبهم النحوية.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

---

[1]– سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 437.

[2]– المبرد: المقتضب، ج: 1، ص: 206.

[3]– سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 117.

[4]– المبرد: المقتضب، ج: 3، ص: 42.

[5]– ابن السراج: الأصول في النحو، ج: 3، ص: 160.

[6]– أبو علي الفارسي: التعليقة على كتاب سيبويه، ج: 4، ص: 177، 180.

- أن إفراد هذه الأبواب لهذه الظواهر الصوتية يدلّ على منهجية خاصّة بالنسبة للنحاة في مناقشة القضايا الصوتية عموماً؛ لأن هذا الإفراد يعني تأكيداً على منهجية النحاة في توسيع كلامهم ضمن إطار الظواهر التي تستحق توسيع الكلام، واقتضابه عند الظواهر التي يحسُن معها الاقتضاب.

9 . ويورد النحاة تعليلات خاصّة بالظواهر الصوتية المختلفة، ويبيّنون ضمن هذه التعليلات سبب وجود مثل هذه الظاهرة في العربية، كالذي نجده عن ظاهرة الإدغام، فإن سبب وجود هذه الظاهرة في العربية آتٍ من إحساس أهل اللغة بوجود ثقل ما حين يُنطق بالحرفين المتماثلين من موضع واحد؛ يرتفع اللسان مرتين إلى ذلك الموضع، فكان لا بد من التخلص من هذا الثقل بوجود ظاهرة صوتية تجعل من الحرفين حرفاً واحداً، وذلك بعد إسكان الحرف المدغم؛ لأن الحركة التي تليه تكون حائلة بينه وبين الحرف المدغم فيه، فلا يمكن الإدغام بوجود هذه الحركة، إذ إن وجود حائل يتوسط بين المدغم والمدغم فيه يؤدي إلى عدم الإدغام[1].

وقد ذكر سيبويه (ت: 180هـ) من قبل بعضاً من العلل التي وُجدت من أجلها الإمالة، والإدغام، والقلب بين الحروف، وذلك إذ يقول: " وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها، أرادوا أن يقربوها منها كما قربوا في الإدغام الصاد من الزاي حين قالوا: (صدر)، فجعلوها بين الزاي والصاد، فقربها من الزاي والصاد التماس الخفة؛ لأن الصاد قريبةٌ من الدال، فقربها من أشبه الحروف من موضعها بالدال. وبيان ذلك في الإدغام. فكما يريد في الإدغام أن يرفع لسانه من موضع واحد، كذلك يقرب الحرف إلى الحرف على قدر ذلك. فالألف قد تشبه الياء، فأرادوا أن يقربوها منها"[2].

---

[1]– ابن الوراق: علل النحو، ص: 555.

[2]– سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 117.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حاول الباحث ضمن الصفحات السابقة أن يُجمل أبرز المظاهر المنهجية التي اعتمدها النحاة في حديثهم عن الظواهر الصوتية ومصطلحاتها ضمن كتبهم النحوية التي وضعوها، وهي كما رأينا أسس عامة تمثل المظهر العام لذلك المنهج، وليست سمة لازمة لكافة النحويين، أو لكافة القضايا الصوتية، بل إن أكثر ملامح حديث النحاة عن القضايا الصوتية ومصطلحاتها يبرز في الملحوظات العامة العابرة التي تظهر في أثناء حديثهم عن القضايا اللغوية المختلفة.

ثانياً: منهج علماء القراءات في الحديث عن القضايا الصوتية ومصطلحاتها:

يظهر للباحث بعض التقارب بين علماء النحو العربي وعلماء القراءات في حديثهم عن القضايا الصوتية ومصطلحاتها، وهو أمر لا يُستغرب، فإن علماء النحو وعلماء القراءات يشتركون كثيراً في بعض النواحي المنهجية، والعلمية، غير أن هذا التقارب بين الفريقين من العلماء لا يصل إلى حدّ التماثل، وهو ما سيبيّنه الباحث فيما يلي من صفحات.

1 . يعتمد علماء القراءات في حديثهم عن مخارج الحروف مثلاً منهج الملحوظات العامة المبثوثة في ثنايا الكتب ومصادر القراءات القرآنية، إذ لا نجدهم مثلاً يفردون باباً خاصاً للحديث عن مخارج الحروف والأصوات في العربية، بل يجعلون حديثهم عنها من خلال مناقشتهم لمواضع القراءات القرآنية، وذلك نحو ما ورد عن الكسائي عندما بيّن أن الفاء تدغم في الباء، وحجته: أن مخرج الباء من الشفتين، ومخرج الفاء من باطن الشفة السفلى، وأطراف الثنايا العليا، فاتفقا في المخرج للمقاربة، إلا أن في الفاء تفشيا يبطل الإدغام، فأما إدغام الباء في الفاء فصواب[1].

---

[1]– ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد: الحجة في القراءات السبع، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت . لبنان، الطبعة الرابعة، 1401هـ، ص: 292.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يبين لنا النص السابق مخرج الفاء، ومخرج الباء، وهما مخرجان متقاربان، فلم يكن الأمر مقصوراً على ناحية مخرج الصوت فحسب، بل كان النص السابق يتناول أيضاً بعض القضايا الأخرى التي تتعلق بالأصوات، كأعضاء النطق؛ إذ يرد في النص حديث عن الثنايا العليا، والشفتين، وهما مكونان مهمان من مكونات جهاز النطق عند الإنسان.

والحديث عن مخرج الحرف أو الصوت يكون مجاوراً للحديث عن بعض الأصوات الأخرى التي لها صلة بذلك الصوت، فحديث عالم القراءات القرآنية عن "التاء" مثلاً يدفعه للحديث عن الدال أو الطاء، وذلك للتشابه في المخرج، والتقارب في الصفات، وهذا ما نراه مثلاً عند الأخفش الأوسط (ت: 215هـ) حين تحدث عن مخرج التاء والدال ضمن حديثه عما جرى في كلمة "ادّارأتم"، وذلك إذ يقول: " فإنما هي "فَتَدارَأْتُم" ولكن التاء تدغم احياناً كذا في الدال؛ لأن مخرجها من مخرجها. فلما أدغمت فيها حوّلت فجعلت دالا مثلها، وسكنّت فجعلوا الفاً قبلها حتى يصلوا إلى الكلام بها، كما قالوا: "اضرْب" فألحقوا الالف حين سكنت الضاد. ألا ترى أنك إذا استأنفت قلت: "ادّارأتم" ومثلها {يَذَّكَّرُونَ} و {تَذَّكَّرُونَ} [و] {أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ الْقَوْلَ} ومثله في القرآن كثير. وإنما هو "يَتدَبَّرون" فأدغمت التاء في الدال؛ لأن التاء قريبة المخرج من الدال، مخرج الدال بطرف اللسان وأطراف الثنيتين ومخرج التاء بطرف اللسان وأصول الثنيتين. فكل ما قرب مخرجه فافعل به هذا"[1].

اشتمل كلام الأخفش (ت: 215هـ) السابق على حديث عن مخرج التاء والدال، وذلك نتيجة لقربهما في الصفات، وتماثلهما في المخرج؛ لذا فقد استدعى حديثه عن مخرج التاء حديثاً عن مخرج الدال.

---

[1]– الأخفش، أبو الحسن سعيد بن مسعدة: معاني القرآن، تحقيق: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة . مصر، الطبعة الأولى، 1410هـ، 1990م، ج: 1، ص: 114.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

2 . ومما يُلاحظ على علماء القراءات عند حديثهم عن القضايا الصوتية ومصطلحاتها أنهم يجعلون هذا الحديث متعلقاً بالآية القرآنية، أو بالقراءة القرآنية ذاتها، فكلما وردت قضية صوتية ضمن الآية الكريمة، أو ضمن القراءة القرآنية تحدث عنها عالم القراءات القرآنية، ومن ذلك مثلاً ما ذكره الزجاج (ت: 311هـ) في تفسيره لقوله سبحانه وتعالى: " قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ"[1]؛ إذ يقول: " فمن قرأ (إن البقرَ تَشَّابه علَيْنَا) فمعناه أن جمَاعةَ البقر تَتَشَابَه عَلَيْنَا، فأُدْغِمتِ التاءُ في الشين لقرب مخرج التاءِ من الشين". [2].

كان كلام الزجاج (ت: 311هـ) السابق منصباً حول الحديث عن القراءة القرآنية التي وردت في الآية الكريمة، فمن هنا انطلق الزجاج (ت: 311هـ) في حديثه، ولم يكن قاصداً للحديث عن القضية الصوتية لذاتها، بل إن حديثه عنها جاء ضمن حديثه عن القراءة القرآنية، فتناول مخرج التاء والشين، وتناول قضية الإدغام.

ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في حديث أبي جعفر النحاس (ت: 338هـ) عن قوله سبحانه وتعالى: " وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ"[3].

---

[1]– سورة البقرة، آية: 70.

[2]– الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل: معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، دار عالم الكتب، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، 1408هـ، 1988م، ج: 1، ص: 155.

[3]– سورة المائدة، آية: 6.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تحدث النحاس (ت: 338هـ) عن كلمة "فاطّهروا" بقوله: " فَاطَّهَّرُوا. والأصل فتطهّروا، فأدغمت التاء في الطاء؛ لأنها من أصول الثنايا العليا وطرف اللسان"[1].

اشتمل حديث النحاس (ت: 338هـ) السابق على عدة مواضيع صوتية؛ الأول: حديث عن مخرج الطاء والتاء، والثاني: حديث عن ظاهرة الإدغام، والثالث: حديث عن بعض أعضاء النطق، وهما طرف اللسان والثنايا العليا، فهذا الكلام للنحاس عن هذه القضايا الصوتية بمصطلحاتها ما جاء إلا نتيجة لحديثه عن الآية القرآنية الكريمة، فكلمة "فاطّهروا" الواردة في الآية الكريمة كانت سبيلاً للحديث عن مخرجي التاء والطاء، وظاهرة الإدغام، وعضوي النطق . اللسان والثنايا . ولم يكن حديث النحاس (ت: 338هـ) منفرداً عن هذه الأمور دون الارتباط بالآية القرآنية الكريمة.

3 . يغلب على منهج علماء القراءات القرآنية في حديثهم عن القضايا الصوتية ومصطلحاتها أن يكون حديثهم عن غير قضية في موضع واحد، فيجمع أحدهم الحديث عن مخرج الحرف، وصفته، وظاهرة الإدغام مثلاً، وهكذا؛ فإن عالم القراءات يحاول جمع كافة الظواهر الصوتية التي تتعلق بالموضع القرآني، أو بالحرف الذي يتحدّث عنه ليصل إلى مبتغاه، ومن الأمثلة على ذلك ما ورد عند أبي علي الفارسي (ت: 377هـ) من حديث عن إدغام الذال في الثاء، وهو منقول عن أبي عمرو بن العلاء، وذلك إذ يقول: " فالذال أدغمها أبو عمرو في التاء،

---

[1]– النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل: إعراب القرآن، وضع حواشيه وعلّق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، 1421هـ، ج: 1، ص: 260.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وإن كانت مجهورة والتاء مهموسة؛ لأن ما بينهما من الجهر والهمس لا يمنع من الإدغام لقلة ذلك"[1].

ولم يكن كلام أبي علي السابق منصباً على جانب واحد من القضايا الصوتية، كأن يكون منصباً على جانب مخرج الذال والثاء، ولم يكن منصباً على صفتهما: وهي الجهر والهمس، ولم يكن منصباً على الظاهرة الصوتية وهي الإدغام، وإنما جمع أبو علي كافة هذه القضايا، ضمن كلامه عن موضع واحد، فكان شاملاً بالنسبة للموضع، مشوشاً بالنسبة للمنهجية العلمية.

ومن ذلك أيضاً ما ورد عند ابن مجاهد (ت: 324هـ) في حديثه عن السين والصاد، وذلك إذ يقول: " وَالسِّين الأَصْل وَالْكتاب بالصَّاد، وَإِنَّمَا كتبت بالصَّاد ليقربوها من الطَّاء؛ لِأَن الطَّاء لَهَا تصعد فِي الحنك، وَهِي مطبقة وَالسِّين مهموسة، وَهِي من حُرُوف الصفير،

فثقل عَلَيْهِم أَن يعْمل اللِّسَان منخفضا ومستعليا فِي كلمة وَاحِدَة، فقلبوا السِّين إِلَى الصَّاد؛ لِأَنَّهَا مؤاخية للطاء فِي الإطباق، ومناسبة للسين فِي الصفير؛ ليعْمَل اللِّسَان فيهما متصعداً فِي الحنك عملا وَاحِدًا"[2].

اشتمل كلام ابن مجاهد (ت: 324هـ) السابق على حديث عن مجموعة من القضايا الصوتية المجتمعة في موضع واحد، وهي: الإطباق، والصفير، والاستعلاء، هذا بالنسبة للصفات، ومخرج الصاد، ومخرج السين، ومخرج الطاء، بالنسبة للمخارج، والحنك، واللسان، بالنسبة لأعضاء

---

[1]– الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار: الحجة للقراء السبعة، تحقيق: بشير جويجابي وبدر الدين قهوجي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح، أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، دمشق . سوريا، وبيروت . لبنان، الطبعة الأولى، 1413هـ، 1993م، ج: 5، ص: 164.

[2]– ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس التميمي البغدادي: السبعة في القراءات، تحقيق: أحمد شوقي عبد السلام ضيف، دار المعارف، القاهرة . مصر، الطبعة الثانية، 1400هـ، ص: 107.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

النطـق، والثقـل بالنسـبة لخصـائص النطـق، وبـذا يكـون كـلام ابـن مجاهـد (ت: 324هـ) السابق شاملاً لكثير من القضايا.

إن هذا التكثيف للحديث عن القضايا الصوتية ضمن المواضع القرآنية وكتب القراءات يؤدي في بعض الأحوال إلى عدم التركيز، أو ما يمكن تسميته بالتشويش العلمي ضمن هذه القضايا؛ لأن عدم التبويب وعدم التركيز على جانب واحد يؤدي إلى ضياع الأفكار لدى المتلقي خصوصاً، وربما توقف فهمه للقضية الصوتية عند الموضع القرآني، أو المثال الذي يضربه علماء القراءات في مثل هذه المواضع.

4 . ومن منهج علماء القراءات في تناول القضايا الصوتية ومصطلحاتها أنهم يضربون الأمثلة المقتضبة حول القضية الصوتية، أو حول المسألة الصوتية التي يكونون في صدد الحديث عنها؛ إذ بهذه الأمثلة – التي تُضرب غالباً من خارج القرآن الكريم– يمكن للقارئ أن يفهم القضية الصوتية، وأن يقف على سائر مصطلحاتها، هذا ما نجده مثلاً عند الفراء (ت: 207هـ) حين تحدث عن تثقيل كلمة "ظعن" في القراءة، وذلك حين يقول: " والظعن يثقل فِي القراءة ويخفف؛ لأن ثانيه عين، والعربُ تفعل ذَلِكَ بِما كَانَ ثانيه أحد الستة الأحرف مثل الشعر والبحر والنهر"[1].

لقد مثّل الفراء (ت: 207هـ) في نصه السابق على كلمة "الظعن" التي هو في صدد الحديث عنها بكلمات تحمل نفس القضية الصوتية التي يتحدث عنها، وهي مجيء أحد أصوات الحلق وسطاً، فإنه يمكن التخفيف أو التثقيل، بتحريك عين الكلمة أو تسكينها، وهذه الأمثلة: الشعر،

---

[1]– الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي: معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة مصر، الطبعة الأولى، د.ت، ج: 2، ص: 112.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والنهر، والبحر ما هي إلا أمثلة جاء بها الفراء (ت: 207هـ) كي يرتكز المعنى في ذهن المتلقي، ويستطيع فهم الفكرة التي يقول بها الفراء(ت: 207هـ).

ومن الأمثلة على هذه السمة المنهجية عند علماء القراءات أيضاً ما جاء عند ابن جني (ت: 392هـ) من حديث عن تأثير لحروف الاستعلاء على ما يجاورها من الأصوات الأخرى، كصوت السين الذي ينقلب بفعل تأثير حروف الاستعلاء صاداً مناسبة لتلك الحروف المستعلية؛ يقول: " كما قالوا في سالغ: صالغ، وفي سالح: صالح، وفي سقر: صقر، وفي السقر الصقر. وذلك أن حروف الاستعلاء تجتذب السين عن سفالها إلى تعاليهن، والصاد مستعلية، وهي أخت السين في المخرج، وأخرى حروف الاستعلاء, وهذا التقريب بين الحروف مشروح الحديث في باب الإدغام، ومنه قولهم في سطر: صطر، وفي سويق: صويق"[1].

أورد ابن جني (ت: 392هـ) في نصه السابق مجموعة من الأمثلة التي تخرج عن إطار الآيات القرآنية الكريمة، وتدخل ضمن إطار التمثيل الخارجي الذي يجيء به علماء القراءات لتأكيد فكرة، أو إيضاح قضية، أو تبيين مسألة صوتية، وهذا الاعتماد على الأمثلة التي يصطنعها العالم سبيل لجعل القضية الصوتية أكثر وضوحاً بالنسبة للمتلقي.

5 . ومن منهجهم كذلك أنهم يوردون في بعض الأحيان شيئاً من كلام العرب يؤيدون فيه تحليلهم الصوتي للقضية، أو يزيدون تلك القضية استشهاداً من كلام العرب، ومن ذلك ما نجده عند الزجاج (ت: 311هـ) حين تحدث عن قوله: "اسطاعوا"، من قوله سبحانه وتعالى: " فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا"[2]؛ إذ يقول: " وقوله: (فما اسْطَاعُوا) بغير تاء

---

[1]– ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف، الطبعة الأولى، 1420هـ، 1999م، ج: 2، ص: 168.

[2]– سورة الكهف، آية: 97.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أصلها استطاعوا بالتاء، ولكن التاء والطاء من مخرج واحد، فحذفت التاء لاجْتِمَاعِهِمَا ويخف اللفظُ، ومِنَ العَرب من يقول: فما استاعوا بغير طَاء ، ولا تجوز القراءة بها"[1].

يضيف الزجاج (ت: 311هـ) في نصه السابق أداءً لغوياً عربياً صوتياً، ألا وهو قلب الطاء تاءً، وهو قولهم: استاع"، وهو كلام مسموع عن العرب، غير أن الزجاج (ت: 311هـ) بيّن أن القراءة لا تجوز في مثل هذا الأداء، وذلك لاختلال شرط موافقة رسم المصحف العثماني؛ إذ يتوجب على القراءة أن تكون موافقة لرسم المصحف العثماني كي تجوز قراءة القرآن بها[2].

ومن الأمثلة على ذلك أن الأزهري (ت: 370هـ) حين أراد الحديث عن الهمز بيّن مذاهب العرب فيه، فبيّن أن من العرب من يخفف الهمز، ومنهم من يحققه، وفي حال تحقيقه يُسمى نبراً، ومنهم من يُسهّل الهمز[3].

والأزهري (ت: 370هـ) حين تحدّث عن هذه الظاهرة الصوتية عزاها لكلام العرب، وبيّن أن ما يجري للهمز من أحوال ما هي إلا نتيجة لأحوال العرب في نظرتهم إلى هذا الهمز، واعتبارهم له صوتا ذا حالات مختلفة تحقيقاً وتسهيلاً، وبين بين.

ويكون الاعتماد على كلام العرب في بعض الحالات ماثلاً بصورة عزو بعض المظاهر الصوتية إلى بعض العرب، كبني تميم مثلاً؛ فإن الزجاج (ت: 311هـ) بيّن أن الإمالة لغة بني تميم، وعامة أهل العراق يميلون؛ يقول في ذلك: " والإمالة لغة بني تميم وغيرهم من العرب، ولسان

---

[1]– الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، ج: 3، ص: 312.

[2]– ينظر: السخاوي، أبو الحسن علم الدين علي بن محمد بن عبد الصمد المصري: جمال القراء وكمال الإقراء، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، دار المأمون للطباعة، دمشق . سوريا، وبيروت . لبنان، الطبعة الأولى، 1418هـ، 1997م، ص: 603.

[3]– الأزهري، أبو منصور أحمد بن محمد الهروي: معاني القراءات، مركز البحوث بكلية الآداب، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1412هـ، 1991م، ج: 1، ص: 129.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الناس الذين هم بالعراق جارٍ على لفظ الإمالة، فالعرب تقول: هذا عابد، وهو عابد، فيكسرون ما بعدها إلا أن تدخل حروف الإطباقِ، وهي الطاء والظاء والصاد والضاد، لا يجوز في قولك:(فلانٌ ظالم): ظالم ممال، ولا في طالب: طالب ممال، ولا في (صابر) صابر: ممال، ولا في ضابطٍ: ضابط ممال، وكذلك حروف الاستعلاءِ وهي: الخاءِ والغين، والقاف، لا يجوز في (غافل): غافل ممال، ولا في (خادم): خادم ممال، ولا في (قاهر) قاهر : ممال . وباب الإمالة يطول شرحه إلا أن هذا في هذا الموضع هو المقصود وقدر الحاجة"[1].

هذه هي أهم السمات المنهجية التي اتسم بها منهج علماء القراءات في الحديث عن القضايا الصوتية ومصطلحاتها، وبعد أن انتهى الباحث من الحديث عن هذه السمات المنهجية لدى الفريقين فإنه يورد النتائج الآتية:

1. يعد منهج النحويين في الحديث عن القضايا الصوتية ومصطلحاتها أكثر دقة من منهج علماء القراءات، وذلك لأن النحويين أفردوا أقساماً خاصة للحديث عن الظواهر الصوتية ومصطلحاتها ضمن كتبهم النحوية، في حين أن المؤلفين في القراءات تحدثوا عن القضايا الصوتية ومصطلحاتها وفق ملحوظات عامة ذكروها في أثناء حديثهم عن القراءات القرآنية وآيات الكتاب العزيز.
2. بالرغم من أن علماء القراءات كانوا أقل دقة في منهجهم من النحويين عند حديثهم عن القضايا الصوتية ومصطلحاتها، فإنهم كانوا أكثر شمولاً في تناول تلك القضايا، فربما تحدث أحدهم عن قضية صوتية واحدة في غير موضع من كتابه، في حين أن النحاة – في أغلبهم– تناولوا القضايا الصوتية ضمن قسمها الخاصّ، دون العودة إلى القضية ذاتها في موضع آخر.

---

[1]– الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، ج: 1، ص: 124.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

3. لقد كان هدف المؤلفين في القراءات من إيرادهم للقضايا الصوتية تفسير القراءات القرآنية، وبيان وجهها، وتوضيح ما جرى بها من تغيرات صوتية، وتوجيه تلك القراءة توجيهاً صوتياً سليماً، في حين أن هذا الهدف لم يكن حاضراً عند علماء النحو، بل كان هدفهم من إيراد القضايا الصوتية بيان ما يجري لأصوات العربية من إبدال وقلب وإدغام وغير ذلك من الأحوال التي تعتريها، فالهدف عند علماء النحو أكثر شمولاً منه عند علماء القراءات.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الثاني

المصطلحات التي اتفق عليها الفريقان

لا شك أن أي فريقين من العلماء حين يتناولون موضوعاً علمياً واحداً، أو جانباً معيناً من جوانب المعرفة، فإنهم سيتفقون على مجموعة من المصطلحات؛ فيكتب لها السيرورة والديمومة على ألسنة طلبة العلم عند الفريقين، كما سيختلفون في بعض المصطلحات والجوانب الاصطلاحية. هذا بالنسبة لسائر العلوم، والكلام نفسه ينسحب على المصطلح الصوتي بوصفه واحداً من مستويات اللغة العربية.

والمصطلح الصوتي هو تلك المصطلحات التي يضعها العلماء والباحثون للدلالة على الظواهر الصوتية ضمن اللغة العربية، كما تدلّ أيضاً على عناصر المستوى الصوتي من أعضاء النطق، وخصائص الأصوات، ومخارج الأصوات وصفاتها، وهكذا، فإن جميع المصطلحات التي توضع ضمن هذا الحقل تسمى مصطلحات صوتية[1].

وضمن هذا الفصل يقوم الباحث بالحديث عن المصطلحات الصوتية التي اتفق عليها النحاة وعلماء القراءات، وذلك وفقاً لما يلي:

1. في مخارج الأصوات:

يدلّ هذا المفهوم "مفهوم مكان خروج الصوت" على تلك المواضع العضوية التي تقع ضمن القناة الصوتية بدءاً بالشفتين ووصولاً إلى الحنجرة، وهذه المخارج تتوزع فيها الأصوات العربية[2].

---

[1]– ينظر: السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص: 159.

[2]– عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص: 30.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولا يقتصر أمر مخارج الأصوات على الدرس الصوتي فحسب، بل نجد أن علماء العربية القدماء قد استفادوا من هذه المخارج، وبنوا عليها بعض النماذج العلمية الرائدة، أمثال ما نراه في المعاجم الصوتية التي تعتمد مخارج الأصوات لترتيب عناصر المعجم ضمن هذه المخارج، وأهم نموذج لهذه المدرسة التي استفادت من مخارج الأصوات معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: 170هـ)؛ إذ بنى معجمه على هذه المخارج، واعتمد على طريقة التقاليب للوصول إلى معنى الكلمة المرادة[1].

ومخارج الأصوات عند سيبويه (ت: 180هـ) ستة عشر مخرجاً؛ إذ يقول: " ولحروف العربية ستة عشر مخرجا. فللحلق منها ثلاثةٌ. فأقصاها مخرجاً: الهمزة والهاء والألف. ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء. وأدناها مخرجاً من الفم: الغين والخاء. ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف. ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً، ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف. ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء. ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد. ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فويق الثنايا مخرج النون. ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام مخرج الراء. ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء، والدال، والتاء. ومما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج الزاي، والسين، والصاد. ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال، والثاء. ومن

---

[1]– عبد التواب، رمضان: بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر، الطبعة الثالثة، 1415هـ، 1995م، ص: 145.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى مخرج الفاء. ومما بين الشفتين مخرج الباء، والميم، والواو. ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة"[1].

يصف سيبويه (ت: 180هـ) لنا في نصه السابق مخارج الأصوات في العربية، وهذه المخارج كما رأينا تنقسم عنده إلى ستة عشر مخرجاً، قسمها سيبويه وبيّن لكل قسم منها الأصوات التي تخرج منها، وتابعه في هذا التقسيم والحديث عن مخارج الأصوات في العربية المبرد (ت: 285هـ)[2]، غير أننا نجد بعض التفصيلات عند المبرد التي تتناول مخارج تلك الأصوات، ومن بين تلك التفصيلات ما جاء في حديث المبرد (ت: 285هـ) عن مخرج الواو، إذ يقول: "ومن الشفة مخرج الواو والباء والميم، إلا أن الواو تهوي في الفم حتى تتصل بمخرج الطاء والضاد، وتتفشى حتى تتصل بمخرج اللام، فهذه الاتصالات تقرب بعض الحروف من بعض، وإن تراخيت مخارجها"[3].

يتابع المبرد (ت: 285هـ) سيبويه (ت: 180هـ) فيما ذهب إليه من حديث عن مخارج الأصوات في العربية، بل نجده يصف تلك المخارج وصفاً شبيها بما عليه الحال عند سيبويه (ت: 180هـ) نفسه، إلا أن المبرد (ت: 285هـ) يضيف بعض التفصيلات في حديثه عن مخارج تلك الأصوات كما رأينا.

وممن تابع سيبويه أيضاً في مصطلحاته عند الحديث عن مخارج الأصوات ابن السراج، فقد قسّم هذه المخارج إلى ستة عشر مخرجاً هو أيضاً، ووزّع الأصوات العربية عليها[4]، وكذلك الحال عند ابن جني[5].

---

[1]- سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 433 – 434.

[2]- ينظر: المبرد: المقتضب، ج: 1، ص: 192 – 194.

[3]- المبرد: المقتضب، ج: 1، ص: 194.

[4]- ابن السراج: الأصول في النحو، ج: 3، ص: 400 – 401.

[5]- ابن جني: الخصائص، ج: 1، ص: 192 – 194.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هذا يعني أن النحاة ضمن القرون الهجرية الأربعة الأولى اتفقوا على هذه المخارج للأصوات، وإن وُجِد عند بعضهم شيء من التفصيل في الحديث عن مخارجها، إلا أنهم يرون أنها ستة عشر مخرجاً، يتابعون في ذلك سيبويه الذي وضع هذا الكلام، وهذه المخارج هي باختصار: الحلق وله ثلاثة مخارج، واللسان وله عشرة مخارج من أقصاه إلى طرفه، ومخرج من الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا، ومخرج بين الشفتين، ومخرج من الخياشيم، فهذه هي مجموع المخارج التي أشار إليها سيبويه ومن تابعه من النحاة اللاحقين ضمن حقبة الدراسة.

صوت الألف والهمزة:

هناك اتفاق كبير بين النحاة وأصحاب القراءات في الحديث عن مخارج الأصوات، فكما عدّ النحاة الألف والهمزة والهاء من مخرج واحد وهو الحلق[1]، فكذلك عدّها علماء القراءات؛ يرى أبو علي الفارسي (ت: 377هـ) مثلاً: " أن الهاء من مخرج الألف وهي في الخفاء نحوها"[2]، وبذلك قال ابن جني (ت: 392هـ) في المحتسب[3].

صوت الباء:

يرى النحاة أن الباء تخرج من الشفتين، وذلك بانطباقهما[4]، وبهذا القول قال أصحاب القراءات؛ خاصة عند حديثهم عن حالات الإدغام بين أصوات اللغة. هكذا نقل ابن خالويه (ت: 370هـ) عن الكسائي (ت: 189هـ)[5].

---

[1]- انظر: الفراهيدي: العين، ج: 1، ص: 52.

[2]- الفارسي: الحجة للقراء السبعة، ج: 1، ص: 62.

[3]- ابن جني: المحتسب، ج: 1، ص: 44 – 45.

[4]- انظر: الفراهيدي: العين، ج: 1، ص: 51، وسيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 434، والمبرد: المقتضب، ج: 1، ص: 194، وابن الوراق: علل النحو، ص: 112.

[5]- ابن خالويه: الحجة في القراءات السبع، ص: 292.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

صوت التاء:

تخـرج التـاء فـي العربيـة مـن طـرف اللسـان وأصـول الثنايـا العليـا، هكـذا بـيّن سـيبويه (ت: 180هـ)[1]، وأبو جعفر النحاس (ت: 338هـ)[2]، وابن جني (ت: 392هـ)[3]، وتابعه بذلك من علماء القراءات الأخفش (ت: 211هـ)[4]، والزجـاج (ت: 311هـ)[5]، وأبـو علـي الفارسـي (ت: 377هـ)[6].

وعموماً, فإن ما يلحظه الباحث أن علماء القراءات تحدّثوا عن هذه المخارج بمنظورين: الأول: حين يتحدثون عن العلاقات بين هذه الأصوات كالإدغام مثلاً، فإنهم يتطرّقون للحديث عن مخرج الصوت، ولا يُفردون له مبحثاً خاصاً، كما رأينا مثلاً عند الأخفش (ت: 211هـ)، فقد تناول الحديث عن صوت التاء من خلال علاقة الإدغام[7]، والثاني: حين يأتي الحديث عن مخرج يشتمل عدداً من هذه المخارج، فيصف صاحب الكتاب مخرج التاء بأنه من مخرج الدال والطاء، فهذا هو السبيل لوصف المخرج[8].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

---

[1]– سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 433.

[2]– النحاس: إعراب القرآن، ج: 1، ص: 79.

[3]– ابن جني. الخصائص، ج: 2، ص: 231.

[4]– الأخفش: معاني القرآن، ج: 1، ص: 114.

[5]– الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، ج: 1، ص: 155.

[6]– الفارسي: الحجة للقراء السبعة، ج: 2، ص: 75.

[7]– الأخفش: معاني القرآن، ج: 1، ص: 114.

[8]– ينظر: النحاس: إعراب القرآن، ج: 1، ص: 79.

صوت الثاء:

بيّن سيبويه (ت: 180هـ) أن الثاء تخرج مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا[1]، وتابعه بذلك النحاة وعلماء القراءات، كأبي علي الفارسي (ت: 377هـ)[2].

والحديث عن مخارج هذه الأصوات بما فيها الثاء وغيرها من الأصوات المجاورة لها يكون على عجالة عند هؤلاء العلماء، فهذا النحاس (ت: 338هـ) يتحدّث عن مخارج الطاء والتاء والدال، والزاي والسين والصاد، والثاء والذال والظاء، فيقول: " التاء ليست من مخرج الصاد، ولا من مخرج الزاي، ولا من مخرج الذال، ولا هي من أخواتهن، وإنما أختاها الطاء والدال، وأخت الزاي الصاد والسين، وأخت الذال الظاء والثاء"[3].

فما هذا إلا وصف سريع لمخارج هذه الأصوات دون التطرّق للحديث عن طبيعة المخرج، وتفصيلاته.

صوت الدال:

بيّن النحاة فيما رأينا من قبل أن صوت الدال يخرج من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا[4]، وهي من مخرج الطاء والتاء، وهذا ما اتفق عليه أصحاب علم القراءات مع النحاة؛ يقول النحاس (ت: 338هـ): " إن شئت أدغمت الدال في السين فقلت: قد سمع، لأن مخرج الدال والسين جميعا من طرف اللسان، وإن شئت بيّنت فقلت: قد سمع الله؛ لأن الدال والسين وإن كانتا من

---

[1]– انظر: سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 433، والمبرد: المقتضب، ج: 1، ص: 193.

[2]– الفارسي: الحجة للقراء السبعة، ج: 2، ص: 75.

[3]– النحاس: إعراب القرآن، ج: 2، ص: 277.

[4]– انظر: الفراهيدي: العين، ج: 1، ص: 50، وابن السراج: الأصول في النحو، ج: 3، ص: 400.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

طرف اللسان، فليستا من موضع واحد لأن الدال والتاء والطاء من موضع واحد، والسين والصاد والزاي من موضع واحد. يسمّين حروف الصفير، وأيضا فإن السين منفصلة من الدال"[1].

فكلام النحاس السابق يشير إلى أن صوت التاء والدال والطاء من طرف اللسان، غير أنه لم يبين كيفية هذا المخرج.

صوت الذال:

يظهر مما سبق أن الحديث عن صوت الذال عند علماء القراءات كان ضمن مقارناتهم لهذا الصوت في مخرجه مع ما يجاوره من الأصوات الأخرى، وهي الثاء والظاء، فإن هذه الأصوات الثلاثة تخرج من موضع واحد كما تبيّن، وهو طرف اللسان مع ما بين الثنايا[2].

وهذا التوضيح والتفصيل في مخرج الذال لا نجده عند علماء القراءات، فالنحاس (ت: 338هـ) مثلاً لا يوضّح لنا مخرج هذا الصوت على الوجه المطلوب، بل يقرن الحديث عنه بالحديث عما يجاوره من الأصوات، ليتضح للمتلقي أن مخرج هذا الصوت كالصوتين المجاورين له[3].

صوت الراء:

تخرج الراء من طرف اللسان من موضع النون، غير أنها تعود إلى الخلف قليلاً، فهي قريبة من مخرج النون، ومخرج اللام[4].

---

[1]– النحاس: إعراب القرآن، ج: 4، ص: 247.

[2]– سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 433، وابن السراج: الأصول في النحو، ج: 3، ص: 400 – 401.

[3]– ينظر: النحاس: إعراب القرآن، ج: 2، ص: 277.

[4]– سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 433، والمبرد: المقتضب، ج: 1، ص: 193.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولم يتغيّر الحال عند أصحاب القراءات في طبيعة الحديث عن مخارج هذه الأصوات، فهذا الأزهري (ت: 370هـ) يقول في مخرج الراء رابطاً إياه مع مخرج النون: " ومن قرأ بالإدغام فلقرب مخرج اللام من مخرج الراء، مع غَلَبة الراء على اللام"[1].

صوت الزاي:

تخرج الزاي من طرف اللسان وفُويق الثنايا العليا، وهذا المخرج تشترك معها فيه السين والصاد[2]، وإلى هذا المخرج أشار علماء القراءات، كالأزهري (ت: 370هـ) إذ يقول: " وَمَنْ قَرَأَ بالصاد فلأن مخرج السين والصاد من طرف اللسان فيما بينه وبين الثنايا، والسين والصاد يتعاقبان في كل حرف فيه غين، أو قاف، أو طاء، أو خاء"[3].

يظهر لنا من خلال كلام الأزهري السابق أنه قد تحدّث بشيء من التفصيل والتوضيح عن مخرج الزاي والسين والصاد، إذ هي تخرج من طرف اللسان ما بينه وبين الثنايا العليا، غير أن هذا التوضيح لم يصل إلى حدّ التفصيل الذي نجده عند علماء النحو.

صوت السين:

وتخرج السين من الموضع ذاته الذي تخرج منه الصاد والزاي، أي من طرف اللسان وفويق الثنايا[4]، وهذا ما ذكره أصحاب كتب القراءات، مثل الأزهري (ت: 370هـ)[5].

---

[1]– الأزهري: معاني القراءات، ج: 3، ص: 330.

[2]– الفراهيدي: العين، ج: 1، ص: 50، وسيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 433، والمبرد: المقتضب، ج: 1، ص: 193، وابن السراج: الأصول في النحو، ج: 3، ص: 401، و النحاس: إعراب القرآن، ج: 4، ص: 247.

[3]– الأزهري: معاني القراءات، ج: 1، ص: 111.

[4]– الفراهيدي: العين، ج: 1، ص: 50، 54، وابن السراج: الأصول في النحو، ج: 3، ص: 401.

[5]– الأزهري: معاني القراءات، ج: 1، ص: 111.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

صوت الشين:

تخرج الشين من وسط اللسان، مع ما يحاذيه من سقف الحنك الأعلى، وهي تشترك في هذا المخرج مع الجيم والياء[1]، ولم نجد أصحاب كتب القراءات يشيرون إلى مخرج صوت الشين صراحة في كتبهم، بل تناولوا هذا الصوت عند الحديث عن بعض ملامح العلاقات الصوتية بين الأصوات كحديث الزجاج (ت: 311هـ) عن إدغام التاء في الشين في قوله تعالى: "إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا"[2]، فبين أن سبب الإدغام عائد إلى قرب مخرج الشين من مخرج التاء، إذ هما تخرجان من اللسان[3].

صوت الطاء:

مر سابقا أن صوتي التاء والدال يشتركان مع صوت الطاء في المخرج، فهي تخرج من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا[4].

وهذا ما أشار إليه أصحاب كتب القراءات في حديثهم عن علاقات تلك الأصوات بعضها مع بعض، ومن بينهم أبو علي الفارسي (ت: 377هـ)[5].

صوت الظاء:

بيّن النحاة أن صوت الظاء يخرج من الموضع ذاته الذي يخرج منه صوت الثاء والذال، أي من طرف اللسان وما بين الثنايا[6].

---

[1]– سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 433، والمبرد: المقتضب، ج: 1، ص: 193.

[2]– سورة البقرة: آية: 70.

[3]– الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، ج: 1، ص: 155.

[4]– سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 433.

[5]– الفارسي: الحجة للقراء السبعة، ج: 2، ص: 75.

[6]– سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 433، وابن السراج: الأصول في النحو، ج: 3، ص: 400.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وكما قرن النحاة الحديث عن صوت الظاء بالحديث عن صوتي الثاء والذال فإن علماء القراءات كذلك قرنوا الحديث عن مخرج هذا الصوت بالحديث عن مخرج الصوتين الآخرين، هذا ما نجده مثلاً عند النحاس (ت: 338هـ) [1].

صوت العين:

ذكر النحاة أن صوت العين يخرج من الحلق، فهو يخرج من وسطه، وهو يشترك مع الحاء في هذا المخرج، كما أن الهمزة والألف والهاء تقعان دونه في أدنى الحلق، والغين والخاء تقعان فوقه من مخارج الحلق[2].

وهذا الموضع الذي يخرج منه صوت العين بعيد في القناة النطقية إذا ما قُورن بغيرها من الأصوات الأخرى، فهذا النحاس (ت: 338هـ) يُضعف القول بإدغام العين بالعين لبعد هذا المخرج، مما يشير إلى سمة هذا المخرج التي تبعده في أقصى القناة النطقية[3].

صوت الفاء:

تشترك الفاء والباء والميم والواو في المخرج من حيث علاقتها بالشفتين، إلا أن الفاء تنفرد عن الأصوات الثلاثة الأخرى بأنها تخرج من باطن الشفة السفلى مع ما يليها من أطراف الثنايا العليا[4]، وهو ما يوافق فيه أصحاب القراءات النحاة في اعتبار مخرج الفاء من باطن الشفة السفلى وما يليها من الثنايا العليا[5].

---

[1]– ينظر: النحاس: إعراب القرآن، ج: 2، ص: 277.

[2]– سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 433، والمبرد: المقتضب، ج: 1، ص: 192، وابن السراج: الأصول في النحو، ج: 3، ص: 400.

[3]– النحاس: إعراب القرآن، ج: 4، ص: 285.

[4]– انظر: الفراهيدي: العين، ج: 1، ص: 51، وسيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 434، والمبرد: المقتضب، ج: 1، ص: 194.

[5]– ابن خالويه: الحجة في القراءات السبع، ص: 292.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

صوت اللام:

تحدّث النحاة عن مخرج اللام، وبيّنوا أنه يخرج قريباً من مخرج النون والراء، فهو يخرج من طرف اللسان مع حافته[1].

وكان أصحاب كتب القراءات يشيرون إلى أن اللام تقترب من النون والراء في مخرجها، إلا أنها تميل إلى حافته بالنسبة للنون، وليس فيها تكرير بالنسبة للراء[2].

صوت الهاء:

أشار النحاة من قبل أن صوت الهاء يخرج من أقصى الحلق، ويشترك معه في هذا المخرج صوت الهمزة والألف[3]، وهو الأمر الذي أشار إليه أيضاً أبو علي الفارسي (ت: 377هـ) من أصحاب القراءات[4]، وابن جني (ت: 392هـ)[5].

وبناء على ما سبق يمكن للباحث الإشارة إلى ما يلي:

1. يتفق النحاة مع علماء القراءات في المصطلحات الخاصة بمخارج الأصوات في أكثر الأحيان، ويختلفون في بعضها على ما سيبين الباحث في الفصل الثالث، وخاصة فيما يتعلق بجوانب أعضاء النطق، ووصف النطق بالصوت.

---

[1]– سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 433، وابن السراج: الأصول في النحو، ج: 3، ص: 401، والزجاجي: اللامات، ص: 152.

[2]– الفارسي: الحجة للقراء السبعة، ج: 3، ص: 118.

[3]– سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 433.

[4]– الفارسي: الحجة للقراء السبعة، ج: 1، ص: 62.

[5]– ابن جني: المحتسب، ج: 1، ص: 44 – 45.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

2. كان علماء القراءات يتناولون مخارج الأصوات عند حديثهم عن علاقات تلك الأصوات ضمن القراءات القرآنية، في حين أنّ علماء النحو أفردوا لتلك الأصوات حديثاً خاصاً ضمن كتبهم النحوية.

3. أكثر النحاة تابعوا سيبويه فيما ذهب إليه من حديث عن مخارج تلك الأصوات، وربما كان هذا الأمر أيضاً بالنسبة لعلماء القراءات، فإنهم مطلعون أيضاً على نتاج النحاة، إذ من الطبيعي جداً أن يطلع كل فريق على ما لدى الفريق الثاني، فليس من السهولة بمكان فصل علماء القراءات فصلاً جذرياً عن علماء النحو، إذ لا شك بأن أكثر علماء القراءات هم من النحاة كذلك، ولكنهم تميّزوا باعتبارهم أكثر اطلاعاً على القراءات القرآنية.

2. في صفات الأصوات:

تشير صفات الأصوات إلى تلك العناصر التي تتدخل في طبيعة نطق الصوت، فتجعله مميزاً عن سواه من الأصوات الأخرى، سواء أكانت تلك الخصائص متعلقة بحركة اللسان، أم بذبذبة الأوتار الصوتية، أم بالطريقة التي يتمّ معها نطق الصوت، فهذه العناصر التي تخص كل صوت من هذه الأصوات تجعله موصوفاً بصفة ما، كالجهر والهمس، والشدة والرخاوة، وغيرها من الصفات الأخرى[1].

وهذه الصفات التي يخصّها الباحثون بأصوات اللغة تميّز الصوت اللغوي دون غيره من الأصوات، فما كان متصفاً بصفات أصوات اللغة، فهو صوت لغوي، وما لم يكن متصفاً بهذه الصفات، أو ثمة صفات غير ظاهرة فيه، فإنه لا يغدو صوتاً لغوياً، فالسكون مثلاً لا يعدّ صوتاً صامتاً، وذلك لأنّ علماء اللغة قدماء ومحدثين يعرفون تماماً أن السكون لا تختص بخصائص

---

[1]– حسان، تمام: مناهج البحث في اللغة، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، د.ت، ص: 86.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

نطقية صوتية ذات سمات تؤدي إلى عدّها صوتاً لغوياً، وإنما هي خلوّ من الحركة، وليست صوتاً لغوياً[1].

وصفات الأصوات تلك تنبه إليها القدماء من نحاة ولغويين وعلماء قراءات، لما لهذه الصفات من فائدة في قراءة القرآن الكريم وتجويده، فإن معرفة سمات الأصوات وخصائصها وصفاتها ومخارجها من الأمور التي يتوجب على متعلم القرآن الكريم ترتيلاً وتجويداً أن يعرفها معرفة جيدة، وأن يميّز بين تلك الصفات خاصة تلك التي تتضادّ بعضها مع بعض، فيعرف المجهورة من المهموسة، والمستعلية من المستفلة، والمرقق من المفخم، والشديد من الرخو، وهكذا، فإن هذه المعرفة في صفات الأصوات في العربية تؤدي به إلى قراءة قرآنية سليمة[2].

ومن صفات الأصوات في العربية ما هو متضاد مع صفات أخرى، فالجهر ضدّه الهمس، والإطباق ضده الانفتاح، والتفخيم ضده الترقيق وهكذا، ولا يمكن لصوت في العربية أن تجتمع فيه صفتان متضادّتان، فإذا كان مجهوراً انتفت عنه صفة الهمس، وإذا كان مرققاً انتفت عنه صفة التفخيم، وإذا كان مطبقاً انتفت عنه صفة الانفتاح، وهكذا، أي أنه لا تجتمع صفتان متضادتان في صوت واحد، في حين أن الصوت يشتمل على صفات أخرى ليست من الصفات التي لها ضد، كالتكرير للراء، والصفير للزاي والسين والصاد، وهكذا[3].

وفيما يلي عرض لما اتفق عليه النحاة وأصحاب كتب القراءات في المصطلح الصوتي المتعلّق بصفات الأصوات، فإن ملامح الاتفاق بينهم كثيرة، وملامح الاختلاف قليلة، مما سيقودنا

---

[1]– بشر: دراسات في علم اللغة، ص: 146.

[2]– الحفيان، أحمد محمود عبد السميع: الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1421هـ، 2000م، ص: 88 – 89.

[3]– أبو الوفا، علي الله بن علي: القول السديد في علم التجويد، دار الوفاء، المنصورة – مصر، الطبعة الثالثة، 1424هـ، 2003م، ص: 177.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

في نهاية هذا المبحث لإيجاد سمات عامة للطريقة التي تناول فيها الفريقان الحديث عن المصطلح الصوتي المتعلّق بصفات الأصوات.

الجهر والهمس:

والجهر ضدّ الهمس، فالصوت المجهور "حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت. فهذه حال المجهورة في الحلق والفم؛ إلا أن النون والميم قد يعتمد لها في الفم والخياشيم فتصير فيهما غنةٌ. والدليل على ذلك أنك لو أمسكت بأنفك ثم تكلمت بهما لرأيت ذلك قد أخل بهما"[1].

وهذا المفهوم للجهر نجده عند علماء القراءات كما وجدناه عند النحاة، فالجهر يدل على انقطاع النفس مع نطق الصوت، وهو ضدّ الهمس[2].

أما الأصوات المجهورة، فالهمزة، والألف، العين، والغين، والقاف، والجيم، والياء، والضاد، واللام، والنون، والراء، والطاء، والدال، والزاي، والظاء، والذال، والباء، والميم، والواو. فذلك تسعة عشر حرفاً[3].

ويتناول أصحاب كتب القراءات الحديث عن الأصوات المجهورة فيذكرون بعضها في أحوال حديثهم عن علاقات هذه الأصوات بعضها ببعض، نحو ما نجده عند الأخفش

---

[1]– سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 434، والمبرد: المقتضب، ج: 1، ص: 194، وابن السراج: الأصول في النحو، ج: 3، ص: 401، وابن جني: الخصائص، ج: 1، ص: 195.

[2]– الفارسي: الحجة للقراء السبعة، ج: 1، ص: 131.

[3]–سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 434، وابن السراج: الأصول في النحو، ج: 3، ص: 401، وابن جني: الخصائص، ج: 1، ص: 195.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(ت: 211هـ) حين ذكر أن الذال مجهورة، والتاء مهموسة[1]، وذكر النحاس (ت: 338هـ) أن الدال مجهورة[2]، والزاي كذلك[3]، وذكر ابن خالويه (ت: 370هـ) أن الطاء مجهورة[4].

هذا يعني أن علماء القراءات حين يتحدّثون عن الأصوات يصفونها بالجهر والهمس، ولكن ضمن مواضع مبثوثة في كتبهم.

فالجهر عدم جريان النفس مع الصوت، والهمس عكسه، فالصوت المهموس "حرفٌ أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه، وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت، فرددت الحرف مع جري النفس. ولو أردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه. فإذا أردت إجراء الحروف فأنت ترفع صوتك إن شئت بحروف اللين والمد، أو بما فيها منها. وإن شئت أخفيت"[5].

وهذه الصفة هي الصفة المعكوسة للصفة السابقة وهي صفة الجهر، فإن هاتين الصفتين تقومان على أساس من التضاد كما أشرنا من قبل، وعلماء القراءات يتفقون مع النحاة في ما ذهبوا إليه من مفهوم الهمس، فوصفوه بأنه جريان النفس مع النطق بالصوت، وهو المفهوم ذاته عند النحاة[6].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

---

[1]– الأخفش: معاني القرآن، ج: 1، ص: 398، وينظر: النحاس: إعراب القرآن، ج: 1، ص: 53، وينظر: الفارسي: الحجة في القراءات السبع، ج: 2، ص: 75.

[2]– النحاس: إعراب القرآن، ج: 2، ص: 123.

[3]– النحاس: إعراب القرآن، ج: 2، ص: 167.

[4]– ابن خالويه: الحجة في القراءات السبع، ص: 62.

[5]– سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 434، والمبرد: المقتضب، ج: 1، ص: 194، وابن السراج: الأصول في النحو، ج: 3، ص: 402، وابن جني: الخصائص، ج: 1، ص: 195.

[6]– الفارسي: الحجة للقراء السبعة، ج: 1، ص: 131.

وأما الأصوات المهموسة في العربية فالهاء، والحاء، والخاء، والكاف، والشين، والسين، والتاء، والصاد، والثاء، والفاء. فذلك عشرة أحرف[1].

وحين يريد علماء القراءات الحديث عن الأصوات المجهورة أو المهموسة، فإنهم يتحدّثون عنها وفقاً لعلاقتها بسواها من الأصوات المجاورة لها، فالصاد مثلاً صوت مهموس، والزاي صوت مجهور، فلما جاورت الصاد الطاء ناسب أن تنقلب زاياً كي توافق الطاء المستعلية المطبقة[2].

وكما كان الحال عند علماء القراءات في الحديث عن الأصوات المجهورة، فكذلك الحال في الحديث عن الأصوات المهموسة من حيث ذكرها، فالأخفش (ت: 211هـ) حين تحدّث عن التاء بيّن أنها مهموسة[3]، وابن مجاهد (ت: 324هـ) يبين لنا أن الصاد والسين مهموسان[4]، كما ذكر النحاس (ت: 338هـ) أن الهاء والكاف مهموسان أيضاً[5].

فكما هو الحال عند الحديث عن الأصوات المجهورة، فإن وصفها بالهمس جاء في كتب القراءات مبثوثاً في مواضع متعددة، وكلما مرّ الحديث عن صوت مهموس اقتصر العالم على وصفه بأنه صوت مهموس دون ذكر للمجموعة كلها.

الشدة والرخاوة:

---

[1]– سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 434، وابن السراج: الأصول في النحو، ج: 3، ص: 402، وابن جني: الخصائص، ج: 1، ص: 195.

[2]– ابن مجاهد: السبعة في القراءات، ص: 108.

[3]– الأخفش: معاني القرآن، ج: 1، ص: 398.

[4]– ابن مجاهد: السبعة في القراءات، ص: 108.

[5]– النحاس: إعراب القرآن، ج: 1، ص: 21.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهاتان الصفتان تتضادّان أيضاً كالصفتين الأوليين؛ يقول سيبويه (ت: 180هـ) في تحديد معنى الشدة: " ومن الحروف الشديد، وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه، وهو الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم، والطاء، والتاء، والدال، والباء. وذلك أنك لو قلت ألحج ثم مددت صوتك لم يجر ذلك"[1].

وكما هو الحال عند النحاة من تحديد مصطلح الشدة فالحال أيضاً عند أصحاب كتب القراءات القرآنية كذلك: فإنهم يرون أن مصطلح الشدة دال على عدم جريان الصوت مع النطق بالحرف[2].

ولا يذكر أصحاب كتب القراءات تصنيف الصوت أهو من الأصوات الشديدة أم من الرخوة إلا إذا اعترضهم ذلك في الحديث عن قراءات القرآن الكريم، كما نجد عند ابن خالويه (ت: 370هـ) إذ وصف الجيم بأنه صوت شديد[3].

أما الأصوات الرخوة، فنجدها عند سيبويه (ت: 180هـ) بقوله: " ومنها الرخوة وهي: الهاء، والحاء، والغين، والخاء، والشين، والصاد، والضاد، والزاي، والسين، والظاء، والثاء، والذال، والفاء. وذلك إذا قلت الطس وانقض، وأشباه ذلك أجريت فيه الصوت إن شئت، وأما العين فبين الرخوة والشديدة، تصل إلى الترديد فيها لشبهها بالحاء"[4].

---

[1]– سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 434، والمبرد: المقتضب، ج: 1، ص: 194، وابن السراج: الأصول في النحو، ج: 3، ص: 402، وابن جني: الخصائص، ج: 1، ص: 195.

[2]– الفارسي: الحجة للقراء السبعة، ج: 1، ص: 131.

[3]– ابن خالويه: الحجة في القراءات السبع، ص: 93.

[4]– سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 435، والمبرد: المقتضب، ج: 1، ص: 194، وابن السراج: الأصول في النحو، ج: 3، ص: 402، وابن جني: الخصائص، ج: 1، ص: 195.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وكذلك الأمر ذاته نجده عند علماء القراءات، فإن الصوت الرخو ما أمكن معه جريان الصوت، ولم ينقطع كالأصوات الشديدة[1].

والحال نفسه في تصنيف الأصوات الرخوة، فإن علماء القراءات يصفون بعض هذه الأصوات بالرخاوة أو الرخوة، كالحديث عند ابن خالويه (ت: 370هـ) عن صوتي الواو والياء[2]، وكذلك نجد أبا علي الفارسي (ت: 377هـ) يصف صوت الهاء بأنه رخو[3].

من خلال ما سبق يمكن أن نرى ذلك الاتفاق الكبير بين علماء النحو وعلماء القراءات في الحديث عن صفتي الشدة والرخاوة بين الأصوات، فإنهم وصفوا هذه بالشدة، وهذه بالرخاوة، وبيّنوا معنى هاتين الصفتين وفقاً لما يقتضيه حال هاتين الصفتين، كما تطرقوا للحديث عن أقسام تلك الأصوات بين الشدة والرخاوة.

الإطباق والانفتاح:

وهاتان الصفتان متضادتان أيضاً شأنهما شأن الصفات السابقة، وقد بيّن سيبويه (ت: 180هـ) مفهومهما إذ يقول: " ومنها المطبقة والمنفتحة. فأما المطبقة فالصاد، والضاد، والطاء، والظاء. والمنفتحة: كل ما سوى ذلك من الحروف؛ لأنك لا تطبق لشيءٍ منهن لسانك، ترفعه إلى الحنك الأعلى. وهذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصورٌ فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف"[4].

---

[1]– الفارسي: الحجة للقراء السبعة، ج: 1، ص: 131.

[2]– ابن خالويه: الحجة في القراءات السبع، ص: 67.

[3]– الفارسي: الحجة للقراء السبعة، ج: 1، ص: 131.

[4]– سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 436، والمبرد: المقتضب، ج: 1، ص: 194، وابن السراج: الأصول في النحو، ج: 3، ص: 402.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وما ذكره النحاة من حديث عن الحروف المطبقة تطرّق إليه أصحاب علم القراءات، ولكن حديثهم جاء في سياق الحديث عن القضايا المتعلقة بعلم القراءات، كالحديث مثلاً عن إمالة اسم الفاعل، فإن ألف اسم الفاعل تُمال إذا لم تشتمل بنية اسم الفاعل على حرف من حروف الإطباق[1]، فهذا ذكر لصفة الإطباق على النحو الذي ترد عليه عند علماء النحو.

ونجد الأخفش (ت: 211هـ) يذكر لنا بعضاً من هذه الأصوات المطبقة، إذ وصف الصاد بأنها مطبقة، وأن اتصال التاء بها في صيغة "افتعل" يجعل التاء تنقلب طاءً لتكون موافقة للإطباق في الصاد، ولأن الطاء مطبقة مثل الصاد[2]. كما نجد ابن مجاهد (ت: 324هـ) يذكر صفة الإطباق حين يصف صوت الصاد بأنه صوت مطبق، وهو مجرد ذكر لهذه الصفة دون اختلاف مع علماء النحو في اعتبار الصاد مطبقة[3]، كما يذكر ابن خالويه (ت: 370هـ) أن الصاد والطاء حرفان مطبقان[4]، وكذلك قال أبو علي الفارسي (ت: 377هـ)[5].

ثم إن الأزهري (ت: 370هـ) يذكر لنا حروف الإطباق الأربعة التي ذكرها النحاة، وذلك إذ يقول: " فيكسرون الألف لانكسار ما بعدها إلا أن تَدخل حروف الإطباق، وهي: الطاء والظاء والصاد والضاد"[6].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

---

[1]– الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، ج: 1، ص: 123 – 124.

[2]– الأخفش: معاني القرآن، ج: 1، ص: 398.

[3]– ينظر: ابن مجاهد: السبعة في القراءات، ص: 107.

[4]– ابن خالويه: الحجة في القراءات السبع، ص: 62.

[5]– الفارسي: الحجة للقراء السبعة، ج: 2، ص: 348.

[6]– الأزهري: معاني القراءات، ج: 1، ص: 141.

مما سبق يتّضح لنا أن علماء القراءات قد اتفقوا مع علماء النحو في مصطلحات الإطباق والانفتاح، إذ إن هاتين الصفتين وردتا عند علماء القراءات بالمفهوم ذاته الذي وردتا به عند علماء النحو.

الاستعلاء:

يذكر سيبويه (ت: 180هـ) الاستعلاء في حديثه عن الإمالة، إذ إن حروف الاستعلاء تمنع الإمالة[1]، ويقول المبرد (ت: 285هـ) عن هذه الأصوات: "هذا باب الحروف التي تمنع الإمالة، وهي حروف الاستعلاء، وهي سبعة أحرف: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والقاف، والخاء، والغين، وذلك أنها حروف اتصلت من اللسان إلى الحنك الأعلى، وإنما معنى الإمالة أن تقلب الحرف مما يشاكله من كسرة أو ياء، فإن كان الذي يشاكل الحرف غير ذلك ملت بالحرف إليه، فهذه الحروف منفتحة المخارج، فلذلك وجب الفتح"[2].

وكما نظر النحاة إلى حروف الاستعلاء وفق هذا الاصطلاح, فإننا نجد علماء القراءات ينظرون إليه وفق الطبيعة المصطلحية ذاتها، إذ يقول الزجاج (ت: 311هـ): " مثال فاعل إذا كان في أَوله حَرْفٌ مِنْ حُرُوف الإطباقِ أَو المسْتَعْلِيَةِ، وهي سبعة أَحْرُفٍ منها أربعة مطبقة وهي الصَّادُ والضَّاد والطَّاءُ والظَّاء[3]. وثلاثة مستعلية وهي: الخَاءُ والغَيْن والقاف".

وكما تحدّث النحاة عن الاستعلاء في باب الإمالة، نجد الحال ذاته عند علماء القراءات؛ إذ يقول الأزهري (ت: 370هـ): " فيكسرون الألف لانكسار ما بعدها إلا أن تَدخل حروف الإطباق، وهي: الطاء والظاء والصاد والضاد، ولا يجوز في ذلك (ظَالِم)، ولا (طَالِب)، ولا (صَابِر)، ولا

---

[1]– سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 131.

[2]– المبرد: المقتضب، ج: 3، ص: 46، وانظر: ابن جني: الخصائص، ج: 2، ص: 162.

[3]– الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، ج: 5، ص: 167.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(ضَابِط). وكذلك حروف الاستعلاء، وهي: الخاء والغين والقاف، لا يجوز في (غَافِل) (غِافِل) ولا في (خَادم) خِادِم، ولا في (قَاهِر) (قِاهِر)، وباب الإمالة يطول شرحه إلا أَن هذا في هذا الموضع هو القصد، وقدر الحاجة"[1].

ومن ناحية أخرى فما زال علماء القراءات ينظرون إلى هذه الصفات من خلال علاقات الأصوات مع بعضها بعضاً، فنجدهم مثلاً يتحدّثون عن امتناع إمالة الألف بسبب الصوت المستعلي جوارها[2]، ويتحدّثون مثلاً عن قلب السين صاداً لمناسبة الطاء بعدها، فيقال في "سطر"، صطر، وفي "سويق"، صويق، وذلك لمناسبة الصاد لصوتي الاستعلاء بعدها، لذا قُلبت صاداً[3].

يظهر مما سبق ذلك التوافق الكبير بين علماء النحو وعلماء القراءات في الحديث عن صفة الاستعلاء التي تتصف بها بعض الأصوات في العربية، وهي سبعة كما رأينا سابقاً.

التكرير:

وهذه الصفة تختص بصوت الراء دون سواه من أصوات العربية، وصوت الراء صوت شديد كما بيّن سيبويه (ت: 180هـ) غير أن هذا التكرار الذي يحدث فيه هو الذي يجعله بين الشديد والرخو؛ يقول سيبويه في ذلك: " ومنها المكرر وهو حرفٌ شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام، فتجافى للصوت كالرخوة، ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه. وهو الراء"[4].

وتابع ابن السراج (ت: 316هـ) سيبويه (ت: 180هـ) فيما ذهب إليه من حديث عن الصوت المكرر وهو صوت الراء[5]، ويظهر هذا التكرير في الراء والترجيع من خلال نطقها؛ مما

---

[1]– الأزهري: معاني القراءات، ج: 1، ص: 141.

[2]– ابن خالويه: الحجة في القراءات السبع، ص: 66.

[3]– ابن جني. المحتسب، ج: 2، ص: 168.

[4]– سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 435.

[5]– ابن السراج: الأصول في النحو، ج: 3، ص: 403.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يجعل اللسان لا يستقر في موضعه، ولولا هذا التكرير والترجيع لما ظهر صوت الراء على النحو الذي يظهر مع التكرير، فكان شديداً شأنه شأن سائر الأصوات العربية الشديدة سابقة الذكر[1].

وكما يظهر لنا من كلام النحاة السابقين، فإنهم يصفون الراء بالتكرير، أو يصفون هذا الحرف بأنه حرف مكرر، وكذلك الحال عند علماء القراءات، فإنهم يصفونه – أي الراء – بأنه حرف تكرير، وهذه الصفة تذهب عنه إذا أُدغِم في اللام مثلاً[2]، أو كحديث ابن خالويه (ت: 370هـ) عن التكرير الذي في الراء عند حديثه عن إمالتها[3]؛ إذ إن أكثر علماء القراءات لا يجيزون إمالة الألف مع الراء؛ لأن التكرير الذي يدخلها قرّبها من الأصوات المستعلية، فكما أنه لم يجز إمالة الألف إذا جاورت أصوات الاستعلاء، فلا تُمال في حال مجاورة الراء، بالرغم من أن بعض القراء قد أمالها[4].

وهكذا يتضح لنا أن صفة التكرير التي يتصف بها صوت الراء دون سائر أصوات العربية ظهر عند النحاة بالهيئة التي ظهر فيها عند علماء القراءات، ولم تختلف مصطلحات الفريقين في هذه الصفة، بل كانت متشابهة كما رأينا.

اللين:

---

[1]– ابن جني: الخصائص، ج: 1، ص: 196.

[2]– النحاس: إعراب القرآن، ج: 4، ص: 273.

[3]– ابن خالويه: الحجة في القراءات السبع، ص: 66.

[4]– الفارسي: الحجة للقراء السبعة، ج: 1، ص: 390.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهذه الصفة يختص بها صوتا الواو والياء، يقول سيبويه (ت: 180هـ) عن هذه الصفة: " ومنها اللينة، وهي الواو والياء، لأن مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما كقولك: وأىٌ، والواو وإن شئت أجريت الصوت ومددت"[1].

أوضح سيبويه (ت: 180هـ) في نصه السابق السبب الذي سُمِّيت لأجله الواو والياء باللين، وذلك لأن مخرج الصوت معهما يتسع اتساعاً لا يكون إلا معهما، فليس في الحروف ما يتسع معها مخرج الصوت كاتساعه مع الواو والياء[2].

وكما تُسمى هذه الأصوات – الواو والياء – حروفاً لينة فإنها تسمى أيضاً حروف اللين عند النحاة في حقبة الدراسة، فابن جني (ت: 392هـ) مثلاً يسميها حروف اللين[3].

ويتفق علماء القراءات القرآنية مع النحاة في مصطلح حروف اللين، أو الحروف اللينة الذي استعمله النحاة للدلالة على هذه الأصوات، ومن هؤلاء العلماء الذين ذكروا هذا المصطلح الأخفش (ت: 211هـ)[4]، والزجاج (ت: 311هـ)[5]، وأبي علي الفارسي (ت: 377هـ)[6].

فالمصطلح الخاص بهذه الصفة موجود عند النحاة كما هو موجود عند أصحاب كتب القراءات القرآنية الكريمة، لذا فإن هذا المصطلح متشابه عند الطرفين، وهما متفقان على هذا المصطلح كما رأينا، وإن كان بينهما بعض الاختلاف الذي سيشار إليه في الفصل الثالث.

الصفير:

---

[1]– سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 435.

[2]– ابن السراج: الأصول في النحو، ج: 3، ص: 403.

[3]– ابن جني: الخصائص، ج: 1، ص: 196.

[4]– الأخفش: معاني القرآن، ج: 1، ص: 160.

[5]– الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، ج: 2، ص: 53.

[6]– الفارسي: الحجة للقراء السبعة، ج: 1، ص: 70.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هذه الصفة الصوتية تختص بثلاثة أصوات في العربية كما ذكر النحاة: الزاي، والسين، والصاد، وهي كما أشرنا من قبل تخرج من مخرج واحد من طرف اللسان وما بين الثنايا، وهذه الأصوات الثلاثة أندى في السمع من سواها[1]، وبذاك قال المبرد (ت: 285هـ) [2]، وابن السراج (ت: 316هـ)[3]، وأبو علي الفارسي (ت: 377هـ)[4]، وابن جني (ت: 392هـ) أيضاً[5].

ولا يختلف علماء القراءات القرآنية عن علماء النحو في الحديث عن هذه الصفة من حيث المصطلح، فإنهم يشيرون إلى الصفير باعتباره صفة، ويشيرون كذلك إلى أن حروفه الزاي والسين والصاد، وهي المصطلحات ذاتها التي ذكرها النحاة[6].

وما زال علماء القراءات يتحدّثون عن صفات الأصوات المتعددة والمختلفة خلال حديثهم عن علاقة تلك الحروف بعضها ببعض من حيث الإدغام، وما سواه من العلاقات، كقلب السين صاداً لأنها أختها في صفة الصفير، لذا قُلبت إليها موافقة للطاء في كلمة "المسيطرون"[7].

وثمة تقارب كبير بين الأصوات الصفيرية بعضها مع بعض، إذ هي كما أسلفنا تمتاز بقوة الإسماع، وهذا ما يتضح من خلال نطقها، لذا فهي تتقارب كثيراً مع بعضها، وتتوافق في القلب والإدغام[8].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

---

[1]– سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 464.

[2]– المبرد: المقتضب، ج: 1، ص: 173، و193.

[3]– ابن السراج: الأصول في النحو، ج: 3، ص: 426.

[4]– الفارسي: التعليقة على كتاب سيبويه، ج: 5، ص: 207.

[5]– ابن جني: الخصائص، ج: 1، ص: 194.

[6]– ينظر: الفارسي: الحجة للقراء السبعة، ج: 6، ص: 50.

[7]– ابن مجاهد: السبعة في القراءات، ص: 107.

[8]– ينظر: الفارسي: الحجة للقراء السبعة، ج: 6، ص: 50.

فمن خلال ما سبق كله يمكننا القول بأن صفة الصفير بمصطلحاتها جاءت متوافقة عند علماء القراءات وعند النحاة، فلم يختلف الحال بين هذا وذاك، بل تناولوا الحديث عنها وفقاً للمصطلحات ذاتها.

وفي نهاية هذا المبحث يشير الباحث إلى الاستنتاجات الآتية:

1. لم يختلف النحاة كثيراً عن القراء في الحديث عن صفات الأصوات من حيث مصطلحاتها، فإن تلك المصطلحات تتشابه في عمومها، غير أن هناك بعض الاختلافات في بعض التفاصيل.
2. يستمر علماء القراءات في الحديث عن صفات تلك الأصوات من خلال عرضهم لعلاقات تلك الأصوات بعضها مع بعض، قلباً وإدغاماً وإبدالاً، فإن هذه الأحوال التي تعترض على الأصوات لها حظها الأوفر في الحديث عند علماء القراءات، لذا يتناولون الحديث عن مظاهر تلك الصفات ضمن حديثهم عن تلك الظواهر، في حين أن علماء النحو يتحدثون عن تلك الصفات ضمن مباحث منفصلة في أكثر الأحيان.
3. **في أعضاء النطق والجهاز الصوتي:** ثمة مجموعة من الأعضاء تشكل قناة فموية تسمى بأعضاء النطق، وهي تمتد من الحنجرة داخلاً، إلى الشفتين خارجاً، ولا تنحصر وظيفة هذه الأعضاء في الوظيفة النطقية فحسب، بل لكل عضو منها وظيفة حيوية أخرى لا تتعارض مع طبيعة النطق، فأعضاء النطق هذه تعمل ضمن الجهاز النطقي، كما تعمل وظيفة أخرى حيوية في جسم الكائن الحي، فاللسان مثلاً له وظيفة نطقية تتمثل بإحداث الأصوات، كما له

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وظيفة حيوية أخرى تتمثل بتذوق الطعام، علاوة على وظيفته ضمن الجهاز التنفسي، وهكذا فإن لكل عضو من أعضاء النطق وظيفة حيوية أخرى سوى الوظيفة النطقية[1].

وتبدأ القناة النطقية عند الإنسان من الرئتين اللتين لهما وظيفة نفخ الهواء عبر القناة النطقية، وبعد أن يغادر ذلك الهواء الرئتين إلى الحنجرة والحلق فإنه يغدو أمام قناة نطقية فموية، وأخرى أنفية، وفي كل قناة من هاتين القناتين انسدادات، وتقلصات عضلية، وتقاربات بين أعضاء النطق، فإذا مرّ الهواء بواحد من هذه الانسدادات، أو تأثر بشيء من التقلصات العضلية، فإنه يصدر صوتاً ما، وهذا الصوت يمكننا أن نطلق عليه حرفاً، أو فونيماً. ويزيد في قوة هذا الصوت أو ضعفه ما يصاحبه من انفتاح الوترين الصوتيين أو انغلاقهما، وذبذبتهما أو عدمها، وضيق مجرى الصوت أو اتساعه. وهكذا يتأثر الصوت بهذه المؤثرات الصوتية التي تتلو انطلاق الهواء من الرئتين[2].

ومعرفة أعضاء النطق ومواضعها يساعد الباحث في معرفة العلاقات التي تقع بين هذه الأصوات، فإن علاقة هذه الأصوات بعضها ببعض تزداد قوة كلما اقتربت تلك المواضع النطقية من بعضها، فالأصوات التي تقع ضمن موضع نطقي واحد كالحلق مثلاً يقع بينها الإدغام والإبدال أكثر من الأصوات التي تقع في اللسان، بل ربما كان من الندرة وقوع تلك العلاقات والإبدالات بين الأصوات المتباعدة في المخارج[3].

---

[1]– عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص: 23.

[2]– عمر، أحمد مختار: أسس علم اللغة، دار عالم الكتب، القاهرة – مصر، الطبعة الثامنة، 1419هـ، 1998م، ص: 77.

[3]– الصالح، صبحي إبراهيم: دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1379هـ، 1960م، ص: 217.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفي هذا المبحث يتناول الباحث تلك الأعضاء النطقية التي اتفق النحاة وعلماء القراءات على مصطلحاتها ضمن حقبة الدراسة المحددة.

وأعضاء النطق عند النحويين تظهر كما تظهر عند علماء القراءات، فيذكر النحاة مثلاً الحلق بوصفه واحداً من أعضاء النطق، يخرج منه مجموعة من الأصوات [1]، وقسموا مواضع خروج الصوت في الحلق مثلاً من أقصاه إلى أدناه، وهي ثلاثة مواضع[2].

ويمكننا القول بأن المصطلحات المتعلقة بأعضاء النطق عند النحاة تتمثل بما يلي: الحلق، واللسان، وطرف اللسان، وحافة اللسان، والحنك الأعلى، والشدق الأيسر والأيمن، والرباعيات، والثنايا العليا، وأصول الثنايا، وأطراف الثنايا، والشفتين، وباطن الشفة، والخياشيم[3].

ونجد النحاة يذكرون أعضاء النطق ذاتها في بعض المواضع التي لا علاقة لها بالنطق، ولكن لها علاقة بأعضائه، كالحديث مثلاً عن الصدق، وأنه موضع اللسان، هذا ما رأيناه مثلاً عند سيبويه (ت: 180هـ) في حديثه عن اللسان[4].

وكما كانت هذه مصطلحات أعضاء النطق عند النحاة، فهي ذاتها عند علماء القراءات، مع وجود بعض الاختلافات التي سيشار إليها لاحقاً؛ إذ يتحدّث علماء القراءات عن الحلق[5]،

---

[1]– ينظر: سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 434، والمبرد: المقتضب، ج: 1، ص: 192.

[2]– ابن السراج: الأصول في النحو، ج: 3، ص: 400.

[3]– ينظر: سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 433 – 434، والمبرد: المقتضب، ج: 1، ص: 192 – 194، وابن السراج: الأصول في النحو، ج: 3، ص: 400 – 401، وابن الوراق: علل النحو، ص: 475.

[4]– سيبويه: الكتاب، ج: 1، ص: 430.

[5]– ينظر: الفراء: معاني القرآن، ج: 2، ص: 112، والزجاج: معاني القرآن وإعرابه، ج: 1، ص: 362، و ابن زنجلة، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد: حجة القراءات، دار الرسالة، الطبعة الأولى، د.ت، ص: 276.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

واللسان: طرفه ووسطه وحافته[1]، والثنايا العليا[2]، والحنك الأعلى[3]، وأطراف الثنايا، والشفتين، وباطن الشفة، والخياشيم، فهذه المصطلحات هي ذاتها التي ترد عند النحويين.

ومن خلال ما سبق يمكننا أن نرى ذلك التوافق بين علماء القراءات وعلماء النحو في الحديث عن مصطلحات أعضاء النطق، إذ إن الاختلافات بينهم قليلة جداً لا تكاد تُذكر.

وفي الوقت الذي اتفق فيه النحاة مع علماء القراءات في مصطلحات أعضاء النطق، نجدهم يتفقون أيضاً في عدم ذكرهم لبعض هذه المصطلحات، كالرئتين، والحنجرة، والوترين الصوتيين، واللهاة، والحنك الصلب، والحنك اللين، فجميع هذه المصطلحات لا نجدها عند علماء القراءات، ولا عند النحاة، فهم يجمعهم ضمن هذه الحقبة الزمانية عدم ذكر هذه المصطلحات.

وفي نهاية هذا المبحث يصل الباحث إلى ما يلي:

1. اتفق النحاة وعلماء القراءات في المصطلحات التي تخص أعضاء النطق اتفاقاً كبيراً، فهذه الأعضاء بمصطلحاتها؛ كما ترد عند النحاة ترد عند علماء القراءات.
2. لم يصل هذا الاتفاق في تلك المصطلحات إلى حد التطابق التام، بل ثمة بعض الفروقات السطحية التي يفترق بها الطرفان، ولكنها لا تمس الأصل العام الذي لوحظ عندهم.
3. وكما اتفقوا على إيراد مصطلحات ما ضمن حديثهم عن أعضاء النطق، فإننا نجدهم يجمعهم أيضاً عدم إيراد بعض تلك المصطلحات، كالحنجرة، والوترين الصوتيين، واللهاة، والحنك الصلب، والحنك اللين، وهكذا.

---

[1]– انظر مثلاً: الأزهري: معاني القراءات، ج: 1، ص: 111.

[2]– ينظر: النحاس: إعراب القرآن، ج: 1، ص: 260، وابن خالويه: الحجة في القراءات السبع، ص: 77.

[3]– ينظر: ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: غريب القرآن، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1398هـ، 1978م، ص: 9، وابن مجاهد: السبعة في القراءات، ص: 107.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

4. في خصائص النطق:

هناك مجموعة من الخصائص النطقية التي تتميز بها اللغة العربية عن سواها من اللغات الأخرى، بل ربما امتازت بها لهجة دون أخرى، وهذه الخصائص لها عناصرها التي تميّزها وتُعرف بها، غير أن هذه الخصائص في أغلبها لا يمكن تمثيله كتابياً، أو تمييزه من خلال عناصر الكتابة الصوتية، بل تظهر من خلال علاقة الأصوات بعضها مع بعض؛ هذا من جهة، ومن خلال التطبيق المسموع للكلام ضمن عناصر اللغة الواحدة[1].

وهذه الخصائص النطقية لها أهميتها الكبيرة في تمييز الأصوات اللغوية بعضها عن بعض، فمن هذه الخصائص ما يميز أصوات الحركات القصيرة والطويلة، ومنها ما يميز الأصوات الصامتة دون الحركات، ومنها ما يميز مجموعة من الصوامت دون أخرى، وهكذا، فخصائص النطق هي التي تحدد طبيعة تميّز صوت ما عن غيره من الأصوات[2].

ومن بين الأصوات الصامتة التي لها خصائصها النطقية في العربية الأصوات المائعة، وهو مصطلح حديث يطلق على صوت اللام، والميم، والنون والراء، إذ تتبادل هذه الأصوات الأدوار فيما بينها من خلال علاقتها الصوتية، فهي قريبة المخرج بعضها من بعض، وهي سهلة ويسيرة في النطق من جهة أخرى، لذا سُمِّيت بالأصوات المائعة بناءً على هذه الخصائص النطقية التي تتميز بها عن غيرها من أصوات اللغة[3].

---

[1]– ينظر: فندريس، جوزيف: اللغة، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، 1950م، ص: 407.

[2]– حجازي، محمود فهمي: علم اللغة العربية، دار غريب للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، الطبعة الأولى، د.ت، ص: 226.

[3]– ينظر: عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص: 226.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وثمة حديث عند النحاة من جهة، وعلماء القراءات من جهة أخرى تناولوا فيه بعضاً من المصطلحات المتعلقة بخصائص النطق، وفيما يلي يتناول الباحث هذه النماذج التي تحدّثوا عنها.

الخفة:

ربما تولّدت الخفة في نطق بعض الأصوات من خلال اتصافها بصفة ما، كصفة الإمالة التي تدخل الألف في بعض الأحيان، فتجعلها خفيفة في النطق، هذا ما ذكره الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: 170هـ) " فزعم الخليل: أن إجناح الألف أخفُّ عليهم، يعني: الإمالة، ليكون العمل من وجهٍ واحد، فكرهوا ترك الخفة وعلموا أنهَّم إن كسروا الراء وصلوا إلى ذلك، وأنهَّم إن رفعوا لم يصلوا"[1].

تتصف بعض الأصوات بصفة الخفة دون سواها من الأصوات اللغوية الأخرى، كحروف المد واللين، الألف والواو والياء، فهي أخف الأصوات على الإطلاق؛ يقول سيبويه (ت: 180هـ): " وهذه الثلاثة أخفى الحروف لاتساع مخرجها. وأخفاهن وأوسعهن مخرجاً: الألف، ثم الياء، ثم الواو"[2].

إن ما جعل هذه الأصوات الثلاثة تتميز عن سواها من أصوات اللغة بالخفة أنها ذات مخرج متّسع على الناطق، فنتيجة لاتساع هذا المخرج كانت هذه الأصوات أخف من سواها.

والوصول إلى الخفة في بعض الأحوال قد يتطلب مظهراً صوتياً، أو علاقة استبدالية بين بعض الأصوات للوصول إلى الخفة، كما هو الحال في الإدغام، فإن إدغام الأصوات بعضها في بعض يؤدي إلى الخفة[3].

---

[1]– سيبويه: الكتاب، ج: 3، ص: 278.

[2]– سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 436.

[3]– ابن الوراق: علل النحو، ص: 153، 555.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وكما أن الإدغام يؤدي إلى الخفة فإن القلب يؤدي كذلك إليها، مثل قولهم: اتّزن، في أوتزن، فإن قلب الواو تاء دفع بالكلمة نحو الخفة في النطق[1].

فهذا مصطلح الخفة عند النحويين يدلّ على معنى سهولة النطق من خلال إجراء بعض التغييرات والتبديلات على الأصوات قلباً، وإدغاماً، وحذفاً، وذلك من أجل الوصول إلى الخفة المنشودة.

وكما ارتبط هذا المصطلح عند النحويين بسهولة النطق نجده يرتبط كذلك بالسهولة في النطق عند علماء القراءات، يقول الزجاج (ت: 311هـ): " وقوله : (فما اسْطَاعُوا) بغير تاء أصلها استطاعوا بالتاء، ولكن التاء والطاء من مخرج واحد، فحذفت التاء لاجْتِمَاعِهِمَا ويخف اللفظُ، ومِنَ العَرب من يقول: فما استاعوا بغير طَاء، ولا تجوز القراءة بها"[2].

ويقول أبو علي الفارسي (ت: 377هـ): " ويقول من قرأ بالزاي: أبدلت منها حرفا مجهورا حتى يشبه الطاء في الجهر، ورمت الخفّة"[3]، ويقول في موضع آخر: " ومن قال: تشقق بتخفيف الشين حذف التاء التي أدغمها من قال: تشّقّق. قال أبو الحسن: الخفيفة أكثر في الكلام نحو: تذكّر أمة الله، لأنّهم أرادوا الخفّة، فكان الحذف أخفّ عليهم من الإدغام"[4].

يتفق النحاة وعلماء القراءات القرآنية في أن الخفة تأتي من أجل تسهيل اللفظ وتيسيره على الناطق، ويكون ذلك بإجراء بعض التغيّرات على أصوات الكلمة، كالإدغام، أو القلب، أو الحذف،

---

[1]– ينظر: ابن جني: المنصف، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، دار إحياء التراث القديم، الطبعة الأولى، 1373هـ، 1954م، ص: 205.

[2]– الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، ج: 3، ص: 312.

[3]– الفارسي: الحجة للقراء السبعة، ج: 1، ص: 50.

[4]– الفارسي: الحجة للقراء السبعة، ج: 5، ص: 341.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فالسبيل الذي يوصل إلى الخفة هو المنشود لدى الناطق، وهذا المصطلح كما نرى متشابه عند النحاة وعلماء القراءات القرآنية.

الثقل:

والثقل نقيض الخفة، وربما دفع الثقل إلى بعض التغيّرات لتصل الكلمة بأصواتها إلى الخفة واليسر، ففكرة الثقل تعمل على التعادل مع فكرة الخفة، فبسبب الثقل الواقع في بعض الأصوات تُجري اللغة بعض التغيرات الصوتية التي من شأنها أن تؤدي إلى الخفة، يقول سيبويه (ت: 180هـ) متناولاً مصطلح الثقل: " فلما كثرت الياءات وتقاربت وتوالت الكسرات التي في الياء والدال استثقلوه، فحذفوا، وكان حذف المتحرك هو الذي يخففه عليهم؛ لأنهم لو حذفوا الساكن لكان ما يتوالى فيه من الحركات التي لا يكون حرفٌ عليها مع تقارب الياءات والكسرتين في الثقل مثل أسيّدٍ، لكراهيتهم هذه المتحرِّكات. فلم يكونوا ليفروا من الثقل إلى شيءٍ هو في الثِّقل مثله، وهو أقل في كلامهم منه، وهو أسيديٌّ وحميريٌّ ولبيدي"[1].

ونجد هذه الفكرة واضحة عند سائر النحويين الذين تبعوا سيبويه فيما ذهب إليه، كالمبرد (ت: 285هـ)[2]، وابن السراج (ت: 316هـ)[3]، والنحاس (ت: 338هـ)[4]، وابن الوراق (ت: 381هـ)[5]، وابن جني (ت: 392هـ)[6].

فالفكرة الأساسية في مصطلح الثقل عند النحويين تدل على استثقال صوتين ضمن كلمة ما، مما يدفع باللغة إلى اتخاذ إجراء صوتي يؤدي بالصوتين إلى التماثل، أو التخالف للوصول إلى

---

[1]– سيبويه: الكتاب، ج: 3، ص: 371، وج: 4، ص: 482.

[2]– المبرد: المقتضب، ج: 1، ص: 149.

[3]– ابن السراج: الأصول في النحو، ج: 2، ص: 136.

[4]– النحاس: إعراب القرآن، ج: 1، ص: 98.

[5]– ابن الوراق: علل النحو، ص: 467.

[6]– ابن جني: المنصف، ص: 363.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الخفة المنشودة، وهذا الحديث عن الثقل يرد غالباً عند النحويين في حال حديثهم عن بعض الظواهر الصوتية، أو بعض العلاقات بين الأصوات، دون الحديث عنها منفردة وحدها.

وكما دلّ الثقل على معنى الاستثقال عند النحاة فإنه يدلّ على المعنى ذاته عند علماء القراءات، فيذكر الفراء (ت: 207هـ) مثلاً أن وجود الإدغام يؤدي إلى التخلص من الثقل في بعض الكلمات، ولا يعني هذا وجوب الأخذ بالإدغام، إلا أنه يؤدي إلى التخلص من الثقل، فهو أولى[1].

وتابع علماء القراءات الفراء وسواه من العلماء الآخرين فيما ذهبوا إليه من الحديث عن ثقل بعض الأصوات إذا جاورت بعضها الآخر، كالأخفش (ت: 211هـ)[2]، والزجاج (ت: 311هـ)[3]، وابن خالويه (ت: 370هـ)[4]، والأزهري (ت: 370هـ)[5].

فمن خلال ما سبق يمكننا القول بأن علماء القراءات يوافقون علماء النحو فيما ذهبوا إليه من معنى لمصطلح الثقل والخفة، فهذان المصطلحان يعملان على فكرة التعادل بينهما، فالثقيل تسعى اللغة إلى تخفيفه، وحيثما يوجد الثقل توجد الخفة، وهذا كله ورد عند النحاة وعلماء القراءات ضمن الحديث عن ظواهر صوتية تؤدي بالكلمة إلى الخفة، كالإدغام، والقلب، والحذف، وسواها من الظواهر الصوتية الأخرى.

5. في الظواهر الصوتية المختلفة:

يوجد في لغتنا العربية وفي سواها من لغات العالم مجموعة من الظواهر الصوتية التي تعتمد في أساسها على طبيعة الأصوات، وعلاقات تلك الأصوات بعضها مع بعض، هذا بالإضافة إلى عناصر الفونيمات فوق التركيبية، كالنبر والتنغيم، والمفصل، فإن هذه الظواهر تؤدي مجموعة

---

[1]– الفراء: معاني القرآن، ج: 1، ص: 172.

[2]– الأخفش: معاني القرآن، ج: 1، ص: 182.

[3]– الزجاج: معاني القرآن، ج: 3، ص: 26.

[4]– ابن خالويه: الحجة في القراءات السبع، ص: 196.

[5]– الأزهري: معاني القراءات، ج: 1، ص: 447.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

من العلاقات الصوتية التي لا يمكن النظر إليها بمعزل عن طبيعة التراكيب الصوتية في اللغة المدروسة[1].

وهناك مجموعة من العوامل التي لا يمكن حصرها تؤثر في طبيعة الظاهرة الصوتية، وفي طبيعة انتقالها وتطورها، ومن أهم هذه العناصر الطبيعة التي تؤدي بها أعضاء النطق تلك الأصوات النطقية؛ إذ لتلك الهيئة التي تؤديها أعضاء النطق الأصوات أثر كبير في طبيعة الظاهرة اللغوية ذاتها. ومن العوامل أيضاً الهيئة التي تنتقل بها تلك الظاهرة عبر أبناء اللغة أو اللهجة، والأسس التي تقوم عليها تلك الانتقالات الصوتية، وفقاً لعناصر البيئة والجغرافيا، فجميع هذه النواحي تؤثر في طبيعة تلك الظاهرة اللغوية وانتشارها[2].

وثمة مجموعة من الظواهر الصوتية التي كانت موضعاً للحديث عند علماء القراءات القرآنية والنحاة، واتفقوا في جوانب مصطلحية كثيرة، وهي كما يلي:

الإدغام:

يتحدّث سيبويه (ت: 180هـ) عن الإدغام فيقول: " اللذين تضع لسانك لهما موضعاً واحداً لا يزول عنه وقد بينا أمرهما إذا كانا من كلمة لا يفترقان. وإنما نبينهما في الانفصال"[3].

فسيبويه في كلامه السابق يتحدث عن الصوتين المدغمين، فهما صوتان يضع الناطق لسانه في موضع واحد عند النطق بهما، فلا يزول اللسان عن ذلك الموضع حتى ينتهي النطق بهذين الصوتين.

---

[1]– ينظر: عمر: أسس علم اللغة، ص: 12.

[2]– وافي، علي عبد الواحد: علم اللغة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، د.ت، ص: 23.

[3]– سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 437.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فالإدغام عند علماء النحو يعني إدخال صوتين أحدهما في الآخر حتى يصيرا صوتاً واحداً؛ تضع لسانك له لا يزول عن موضعه حتى انتهاء النطق بهما، وهذا الإدغام يدخل الكلمة للتخلص من الثقل الحاصل في كثرة الحركات في تلك الكلمة، فكلما كثُرت الحركات في الكلمة ازداد الإدغام حسنا[1].

يقول ابن الوراق (ت: 381هـ) في بيان هذا كله: " وأصل الْإِدْغَام إِدْخَال الشَّيْء فِي الشَّيْء مَأْخُوذ من قَوْلهم: أدغمت فاس اللجام فِي فَم الْفرس، وَإِنَّمَا حملهمْ على الْإِدْغَام طلب الخفة، لِأَن الشَّيْء إِذا كَانَ خَفِيفا بَقِي على أَصله، وَلَا بُد من إسكان الْحَرْف المدغم، لِأَن الْحَرَكَة حائلة بَين الحرفين، المدغم والمدغم فِيهِ، وَإِنَّمَا وَجب الْإِدْغَام لِئَلَّا تعود من حرف نطقت بِهِ إِلَى مثله من وَسطه، وَإِذا أدغمت رفعت لسَانك عَن الْحَرْف المدغم فِي الآخر رفْعَة وَاحِدَة، لَا تَكْرِير فِيهِ، وَلَا يجوز أَن يكون بَينهمَا متوسط، فَلذَلِك وَجب إسكان الْحَرْف المدغم"[2].

فمن خلال كلام النحاة السابقين يمكننا أن نتبين المصطلحات الأساسية في ظاهرة الإدغام، وهي: الإدغام ذاته بوصفه إدخال شيء في شيء، والمدغم: وهو الحرف الأول، والمدغم فيه: وهو الحرف الثاني.

وعند الانتقال إلى كلام علماء القراءات في الإدغام, فإننا نجدهم يوافقون علماء النحو في اعتبار أن الإدغام ضمن صوتين اثنين يصيران صوتاً واحداً، هذا علاوة على حديثهم عن المدغم

---

[1]– المبرد: المقتضب، ج: 1، ص: 206.

[2]– ابن الوراق: علل النحو، ص: 555.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والمدغم فيه كون الأول ذاهباً في الثاني، ومن بينهم الفراء (ت: 207هـ)[1]، والزجاج (ت: 311هـ)[2].

يقول ابن خالويه (ت: 370هـ) في ظاهرة الإدغام: " فالحجة لمن أدغم: مماثلة الحرفين، لأن الإدغام على وجهين: مماثلة الحرفين، ومقاربتهما. فالمماثلة: كونهما من جنس واحد. والمقاربة: أن يتقاربا في المخرج كقرب القاف من الكاف، والميم من الباء، واللام من النون. وإنما وجب الإدغام في ذلك لأن النطق بالمتماثلين والمتقاربين ثقيل، فخفّفوه بالإدغام، إذ لم يمكن حذف أحد الحرفين"[3].

فإعادة النطق بالصوتين المتماثلين كإعادة الحديث مرتين، فثقُل على الناطق أن يعود إلى الموضع ذاته مرة ثانية، ومن هنا كان الإدغام تخفيفاً على الناطق، وشبه الخليل بن أحمد النطق بغير إدغام بالمقيد الذي يرفع رجله في موضع واحد مرتين، لذا كان النطق بهذين الصوتين مرة واحدة أخفّ على اللسان من نطقه مرتين والعودة إلى الموضع ذاته مرتين[4].

يظهر لنا مما سبق توافق علماء القراءات مع النحاة في مصطلحات الإدغام التي اعتمدوا عليها في حديثهم عن هذه الظاهرة الصوتية، وهذا التوافق ليس غريباً، إذ إن الإدغام ظاهرة صوتية صرفية، ولا شك أن هؤلاء سيأخذون عن هؤلاء، ومن هنا كان التوافق بين الفريقين.

النبر:

---

[1]- الفراء: معاني القرآن، ج: 2، ص: 354.

[2]- الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، ج: 2، ص: 435.

[3]- ابن خالويه: الحجة في القراءات السبع، ص: 63.

[4]- ابن زنجلة: حجة القراءات، ص: 84.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يقول سيبويه (ت: 180هـ) في مصطلح النبر: " واعلم أنَّ الهمزة إنَّما فعل بها هذا من لم يخففها؛ لأنَّه بعد مخرجها، ولأنها نبرةٌ في الصدَّر تخرج بالاجتهادِ، وهي أبعد الحروف مخرجاً، فثقل عليهم ذلك، لأنَّه كالتهوُّع"[1].

ظاهر لنا من خلال النص السابق أن مفهوم النبر عند سيبويه يرتبط بالهمزة، فهي نبرة في الصدر، أي هي ذات صوت مختلف عن سواها من الأصوات، لذا سُميت بالنبرة، وهذا لا يحدد مفهوم النبر تماماً، بل يشير إليه إشارة فحسب.

وهذه الإشارة ذاتها نجدها بشكل موسّع قليلاً عند المبرد (ت: 285هـ) حين وصف أصوات القلقلة بأن لها نبرة في الصدر بعد النطق بها، وذلك لأن مواضعها قد ضُغِطت، فهذه هي النبرة عنده[2]، فمصطلح النبر عند النحاة يرتبط بذلك الصوت الترجيعي للهمزة أو لبعض أصوات العربية كأصوات القلقلة، وهذا الترجيع شبيه بالتهوع مع الهمزة، وشبيه بتقلقل الصوت في موضعه بالنسبة لأصوات القلقلة.

وكما ارتبط مفهوم النبر عند النحاة بالهمز، فإنه ارتبط كذلك بها عند علماء القراءات، فقد بيّن الزجاج (ت: 311هـ) أن الهمزة نبرة في الصدر، وهو كلام نقله عن سيبويه[3].

وهذه النبرة – الهمزة – ثقيلة في النطق لبعد مخرجها، ولأنها تخرج كالتهوّع، لذا فإن للعرب مذاهب في نطقها، فمن العرب من يسهلها، ومنهم من يحققها، ومنهم من يجعلها بين بين[4]، وبهذا القول قال الأزهري (ت: 377هـ)[5].

---

[1]– سيبويه: الكتاب، ج: 3، ص: 548، والمبرد: المقتضب، ج: 1، ص: 155.

[2]– المبرد: المقتضب، ج: 1، ص: 194.

[3]– الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، ج: 1، ص: 73.

[4]– النحاس: إعراب القرآن، ج: 1، ص: 28.

[5]– الأزهري: معاني القراءات، ج: 2، ص: 165.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فليس هناك اختلاف بين النحاة وعلماء القراءات في الحديث عن النبر من حيث ارتباطه بالهمزة، وهم لم ينظروا إلى النبر متصلاً بسائر أصوات العربية، بل ربطوه بالهمزة فحسب.

الإمالة:

يوضح لنا سيبويه (ت: 180هـ) مفهوم الإمالة حيث يقول: " فالألف تمال إذا كان بعدها حرفٌ مكسور. وذلك قولك: عابدٌ، وعالمٌ ومساجد، ومفاتيح، وعذافر، وهابيل. وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها، أرادوا أن يقربوها منها كما قربوا في الإدغام الصاد من الزاي حين قالوا صدر، فجعلوها بين الزاي والصاد، فقربها من الزاي والصاد التماس الخفة؛ لأن الصاد قريبةٌ من الدال، فقربها من أشبه الحروف من موضعها بالدال. وبيان ذلك في الإدغام. فكما يريد في الإدغام أن يرفع لسانه من موضع واحد، كذلك يقرب الحرف إلى الحرف على قدر ذلك.

فالألف قد تشبه الياء، فأرادوا أن يقربوها منها"[1].

فمفهوم الإمالة عند سيبويه كما نرى يتلخص بإمالة الألف نحو الياء مقاربة من الكسرة التي بعدها، وهذه الإمالة تحصل طلباً للخفة، كما حصل الإبدال طلباً للخفة، والإدغام طلباً للخفة كذلك.

ونجد المبرد (ت: 285هـ) يصرح بمفهوم مصطلح الإمالة، حيث يقول: "وهو أن تنحو بالألف نحو الياء، ولا يكون ذلك إلا لعلة تدعو إليه"[2].

فلا نجد المبرد يبتعد كثيراً عن مفهوم مصطلح الإمالة عند سيبويه، بل إن المعنى بينهما متشابه اللهم بعض الاختلافات البسيطة في طريقة التعبير عن المفهوم، فالمبرد لم يستعمل اللفظ ذاته الذي استعمله سيبويه.

---

[1]– سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 117.

[2]– المبرد: المقتضب، ج: 3، ص: 42.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

أما ابن السراج (ت: 316هـ), فقد توسّع شيئاً ما في مفهوم الإمالة حين تحدث عن إمالة للألف نحو الياء، وإمالة للفتحة نحو الكسرة، وذلك وفقاً لسبب صوتي يدفع إلى ذلك[1].

ومن خلال ما سبق يمكن لنا أن نرى مفهوم الإمالة واضحاً لدى النحويين ضمن حقبة الدراسة، فالإمالة عندهم تغيّر صوتي يصيب الألف أو الفتحة، فتمال نحو الياء أو الكسرة، وذلك استناداً لعلة صوتية تدعو لذلك.

أما عند علماء القراءات, فإننا نجد الزجاج (ت: 311هـ) يوضح لنا طبيعة هذه الظاهرة الصوتية فيقول: " والإمالة لغة بني تميم وغيرهم من العرب، ولسان الناس الذين هم بالعراق جارٍ على لفظ الإمالة، فالعرب تقول: هذا عابد وهو عابد فيكسرون ما بعدها إلا أن تدخل حروف الإطباقِ وهي الطاء والظاء والصاد والضاد، لا يجوز في قولك: فلانٌ ظِالِم : ظالم ممال، ولا في طِالِب : طالب ممال، ولا في صِابِر صابر : ممال، ولا في ضَابِطٍ : ضابط ممال، وكذلك حروف الاستعلاءِ وهي : الخاءِ والغين، والقاف، لا يجوز في غَافِل : غافل ممال ولا في خَادِم : خادم ممال، ولا في قِاهِر قاهر : ممال. وباب الإمالة يطول شرحه إلا أن هذا في هذا الموضع هو المقصود وقدر الحاجة"[2].

فمفهوم الإمالة عند علماء القراءات هو ذاته، وإن لم يصرّحوا به صراحة النحويين، بل ذكروه ضمن حديثهم عن القراءات، فالياء هي الدافع للإمالة، فإن الألف لا تمال إلا بسبب وجود الياء، فإذا زالت الياء من الكلام زال السبب الذي من أجله تُمال الألف، هذا ما ذكره ابن مجاهد (ت: 324هـ)[3].

---

[1]– ابن السراج: الأصول في النحو، ج: 3، ص: 160.

[2]– الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، ج: 1، ص: 124.

[3]– ابن مجاهد: السبعة في القراءات، ص: 146.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فليس مفهوم الإمالة عند علماء القراءات إلا وفق المفهوم عند النحاة، فإنهم يبيّنون أن الألف تمال نحو الياء إذا كان ثمة سبب صوتي يدعو لذلك، وكذلك فإن الفتحة تُمال نحو الكسرة في حال وجود السبب الصوتي كذلك[1]، وهو المفهوم ذاته عند النحويين.

الاختلاس:

يذكر سيبويه (ت: 180هـ) الاختلاس عند حديثه عن إشباع الضمة والكسرة أو اختلاسها، فيقول: " فأما الذين يشبعون فيمططون، وعلامتها واوٌ وياءٌ، وهذا تحكمه لك المشافهة. وذلك قولك: يضربها، ومن مأمنك. وأما الذين لا يشبعون فيختلسون اختلاساً، وذلك قولك: يضربها، ومن مأمنك، يسرعون اللفظ"[2].

فمصطلح الاختلاس عند سيبويه يتضح في عبارتين: عدم مطل الحركة، والإسراع في نطقها، وهذا هو المعنى ذاته الذي أشار إليه المبرد (ت: 285هـ)[3]، والسيرافي (ت: 385هـ)[4]، وابن جني (ت: 392هـ)[5].

فمصطلح الاختلاس عند النحويين يشير إلى النطق السريع للضمة والكسرة، وعدم إشباع هذه الحركات، فتكون خفية في الكلام.

يقول النحاس (ت: 338هـ) موضحاً مفهوم الاختلاس بأنه حركة خفيفة: " لا بدّ لمن رام مثل هذا أن يحرّك حركة خفيفة إلى الكسر، وسيبويه يسمّي هذا اختلاس الحركة"[1].

---

[1]– ينظر: الفارسي: الحجة للقراء السبعة، ج: 1، ص: 62، 383.

[2]– سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 202.

[3]– المبرد: المقتضب، ج: 1، ص: 243.

[4]– السيرافي، أبو محمد الحسن بن عبد الله: شرح أبيات سيبويه، تحقيق: محمد علي الريح هاشم، مراجعة: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، 1394هـ، 1974م، ج: 2، ص: 373.

[5]– ابن جني: الخصائص: ج: 1، ص: 73.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وكلام النحاس السابق واضح الإحالة إلى سيبويه، فقد صرّح صراحة بأن هذا المفهوم عنده منقول عن سيبويه، فلا شك أن المفهوم لا يختلف عنده.

أما مفهوم الاختلاس عند علماء القراءات, فلا يختلف عنه عند النحاة، إذ يقول الزجاج (ت: 311هـ) مشيراً إلى هذا المصطلح بمعناه: " وروي عن أبي عمرو بن العلاءِ أنه قرأ (إلى بارِئْكمَ) بإسكان الهمز، وهذا رواه سيبويه باختلاس الكسرة، وأحسب أن الرواية الصحيحة ما روى سيبويه، فإنه أضبط لمَا رَوَى عن أبي عمرو، والإعْراب أشبه بالرواية عن أبي عمرو؛ لأن حذف الكَسرة في مثل هَذا، وحذف الضم إنما يأتي باضطرار مِنَ الشعر"[2].

فالغاية من هذا الاختلاس تخفيف الاسم بتقصير الحركة، وعدم إشباعها، وهو المعنى الذي أشار إليه النحاة من قبل، ويقع هذا الاختلاس في لغة العرب هروباً من الثقل الحاصل في بعض الألفاظ[3].

وممن قال بهذا المعنى للاختلاس أيضاً الأزهري (ت: 370هـ)[4]، وأبو علي الفارسي (ت: 377هـ)[5].

ومما سبق يتضح لنا أن علماء القراءات يوافقون علماء النحو في مفهومهم لمصطلح الاختلاس، فالمعنى عندهم نطق الحركة بغير إشباع، وتسهيل النطق بها للوصول إلى خفة في اللفظ، وتخلّصاً من الثقل.

الروم والإشمام:

---

[1]– النحاس: إعراب القرآن، ج: 2، ص: 147.

[2]– الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، ج: 1، ص: 136.

[3]– ابن مجاهد: السبعة في القراءات، ص: 105.

[4]– الأزهري: معاني القراءات، ج: 2،ص: 345.

[5]– الفارسي: الحجة للقراء السبعة، ج: 2، ص: 452.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يشير سيبويه (ت: 180هـ) إلى مفهوم الرَوم والإشمام، فيبين أن الإشمام في الضمة دون الكسرة والفتحة، وهو يرى ولا يُسمع، وهذه حالة للوقف يقف بها العربي على الكلمة، فقد كره العرب أن يقفوا على المعربات بالسكون كما يوقف على الكلمة الساكنة، فجاؤوا بالإشمام والرَوم لئلا يقفوا عليها كالساكن، هذا مع كون السكون جائزاً فيها، في حين أن الرَوم يُسمع، وهو نطق بالحركة، ولكن ليس على وجه الإشباع، وهو جائز في الضمة والكسرة والفتحة، إلا أن رَوم الفتحة ضعيف عند الخليل (ت: 170هـ) وعامة العرب[1].

وما دفع العرب إلى هذه الظاهرة الصوتية متمثل بطريقة الوقف على الكلام، فلم يرغبوا في الوقوف على بعض الألفاظ بالسكون المحض، فجاؤوا بهذه الطريقة التي يقف عليها المتكلم وهو شبيه بالإيماء، فالروم إيماء بالصوت، والإشمام إيماء بالشفة[2].

فالروم والإشمام يتلخصان بأن الروم يُسمع ولا يُرى، وهو نطق بجزء الحركة، وهو في الضم والكسرة دون الفتحة، أما الإشمام فهو يُرى ولا يُسمع، فلا يُدركه الضرير، وهو في الضمة دون سائر الحركات[3].

والفصل بين الروم والإشمام أن الإشمام إنما يفهمه البصير دون الضرير؛ لأنه عمل بالشفة بعد الفراغ من الحرف، فأما الروم فهو الاختلاس للحركة، وهو مما يدركه البصير والضرير[4].

فالمفهوم إذن عند النحاة واضح بيّن، إذ ذكروا أن الإشمام يحصل بالرؤية، في حين أن الروم يُسمع وإن كانت الحركة ليست تامة، إذ به يمكن التفريق بين بعض العلامات، كالتفريق بين

---

[1]– سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 170 – 171.

[2]– المبرد: المقتضب، ج: 4، ص: 247.

[3]– ابن السراج: الأصول في النحو، ج: 2، ص: 377.

[4]– ابن الوراق: علل النحو، ص: 156.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المؤنث والمذكر في قولنا: أنتَ، وأنتِ، فلولا الإشمام لما فرقت في حال الوقف بين المذكر والمؤنث[1].

يقول النحاس (ت: 338هـ) في مصطلحي الروم والإشمام: " والإشمام ما ضممت به شفتيك ولم تسمع معه صوتاً, وروم الحركة ما سمعت له مع ضمك لشفتيك صوتاً, كما يستعمل القراء في المرفوع"[2]، والإشمام يكون مع الضم فحسب، في حين أن الروم يكون مع الضم والكسر[3].

ولا يختلف هذا المعنى عند علماء القراءات، فيشير الزجاج (ت: 311هـ) إلى أن الإشمام عمل بالشفتين دون الصوت، في حين أن الروم عمل بالصوت دون الحركة بالشفتين، وهذا هو المفهوم ذاته عند النحاة[4].

والإشمام يكون لأجل بيان الفاعلية في الكلمة، إذ إن الضمة علامتها، لذا فإن القارئ إذا وقف على ضم جاز له الإشمام للإشارة إلى هذه الحركة، وهي الفائدة التي لا تُرجى من الكسرة لو أُشمّت[5].

فمن خلال ما سبق يظهر لنا أنه لا فرق بين معنى الروم والإشمام عند النحاة وعلماء القراءات، فكلا الفريقين يشير إلى معنى الإشارة بالشفتين مع الإشمام، وهو لا يُسمع، وخاص بالضمة، في حين أن الروم يسمع ويدخل الضمة والكسرة، وهذا توافق بين الفريقين في هذا المعنى.

---

[1]– ابن جني: الخصائص، ج: 2، ص: 330.

[2]– النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل: عمدة الكتاب، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم للنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1425هـ، 2004م، ص: 197.

[3]– النحاس: إعراب القرآن، ج: 2، ص: 216.

[4]– الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، ج: 3، ص: 303.

[5]– الفارسي: الحجة للقراء السبعة، ج: 1، ص: 214.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وبعد أن أتمّ الباحث بحمد الله تعالى هذا الفصل فإنه يخلص إلى مجموعة من النتائج وهي على النحو الآتي:

أولاً: هناك اتفاق كبير جداً بين علماء النحو وعلماء القراءات في المصطلحات الصوتية الداخلة ضمن عناصر المستوى الصوتي، وهذا الاتفاق ليس مستغرباً؛ وذلك لأن كثيراً من علماء القراءات هم من النحاة، فما يأخذونه من علماء النحو يستمرون عليه في حديثهم عن القراءات القرآنية.

ثانياً: كان النحاة أكثر تنظيماً في حديثهم عن المصطلح الصوتي ضمن كتبهم المتخصصة، إذ كثيراً ما نجدهم يفردون أبواباً خاصة لهذه الظواهر أو تلك المسائل الصوتية، كباب الإمالة، وباب الإدغام، ومخارج الأصوات وصفاتها، وغير ذلك، في حين أن علماء القراءات لم يكونوا كذلك، بل تناولوا الحديث عن هذه المصطلحات الصوتية ضمن حديثهم عن القراءات القرآنية وآيات القرآن الكريم، بالرغم من أن حديثهم كان وافياً في ذلك.

ثالثاً: تظهر المصطلحات الدالة على المسائل الصوتية عند النحاة وعلماء القراءات وفق نظام متشابه، فهم يذكرون مثلاً الظاهرة باسمها وباشتقاقاتها، مثل: الخفة، تخفيفاً، الثقل، واستثقالاً، واستثقلوا، والنبر، والنبرة، ومنبور، وينبر، والروم، ورام الحركة، وهكذا.

رابعاً: يخلط علماء القراءات في حديثهم عن المسائل النحوية فيما بينها، ففي الوقت الذي يتحدث فيه عالم القراءات القرآنية عن مخرج الصوت يتحدث عن صفته، وربما تحدث عن ظاهرة الإدغام في الموضع ذاته، الأمر الذي لا نراه عند علماء النحو.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الثالث

المصطلحات التي اختلف عليها الفريقان

اتضح في الفصل السابق مجموعة المصطلحات الصوتية التي اتفق عليها الفريقان – النحاة وأصحاب القراءات – في حديثهم عن تلك الظواهر الصوتية بمصطلحاتها، وفي هذا الفصل سينصب الحديث على تلك المصطلحات الصوتية التي اختلف النحاة والقراء على تحديدها، أو وصفها، أو الحديث عنها، وذلك انطلاقاً من فكرة المقارنة بينهما – أي الفريقين – هذا من جهة، وانطلاقاً من فكرة استقراء المصطلح الصوتي من جهة أخرى.

أولاً: في مخارج الأصوات:

اتضح في الفصل السابق مفهوم مخارج الأصوات عند العلماء، كما اتضح تلك النواحي التي اتفق عليها علماء النحو مع علماء القراءات القرآنية في حديثهم عن تلك المخارج، أما في هذا الفصل فسينصب الحديث عن تلك الاختلافات التي وقعت بين النحاة وعلماء القراءات في الحديث عن مخارج الأصوات في العربية.

وأول ما يشار إليه في هذا الصدد الحديث عن عدد تلك المخارج في العربية، إذ أشار العلماء إلى اختلاف في عدد تلك المخارج، فيبين سيبويه (ت: 180هـ) مثلاً أن عددها ستة عشر مخرجاً كما تبيّن في الفصل السابق، إذ تتوزع هذه المخارج على قناة النطق، فالحلق يأخذ ثلاثة مخارج، في حين تتوزع أكثر مخارج هذه الأصوات على اللسان، ثم يأتي مخرج الفاء بين الشفة السفلى والثنايا العليا، ثم المخارج بين الشفتين والخياشيم[1].

---

[1]– سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 434.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتابع أكثر النحاة سيبويه في ما ذهب إليه في حديثه عن عدد هذه المخارج، ومن بينهم المبرد (ت: 285هـ)[1]، وابن السراج (ت: 316هـ)[2]، وابن جني (ت: 392هـ)[3].

ومن هنا يتضح أن علماء النحو ابتداءً من سيبويه وحتى ابن جني وسواهم من النحاة يرون أن مخارج الأصوات في العربية ستة عشر مخرجاً، هي كما اتضح سابقاً، وهذا ما لم يكن موضع اتفاق بينهم وبين علماء القراءات؛ إذ يقول ابن الجزري مبيّناً هذا الاختلاف بينهم: "فقد اختلفوا في عددها، فالصحيح المختار عندنا وعند من تقدمنا كالخليل بن أحمد، ومكي بن أبي طالب، وأبي القاسم بن هذيل، وأبي الحسن بن شريح وغيرهم، سبعة عشر مخرجاً، وهذا الذي يظهر من حيث الاختيار، وهو الذي أثبته أبو علي ابن سينا في مؤلف أفرده في مخارج الحروف وأصواتها، وقال كثير من النحاة والقراء: هي ستة عشر مخرجاً، فأسقطوا مخرج الحروف الجوفية والتي هي حروف المد واللين، وجعلوا الألف من أقصى الحلق، والواو من مخرج المتحركة، وكذلك الياء، وذهب قطرب والجرمي وابن كيسان وابن دريد إلى أنها أربعة عشر مخرجاً، فأسقطوا مخرج النون واللام والراء وجعلوها من مخرج واحد، وهو طرف اللسان، والصحيح عندنا الأول لظهور ذلك في الاختيار"[4].

فواضح من خلال كلام ابن الجزري السابق الخلاف بين علماء القراءات وعلماء النحو في ما يتعلق بجانب عدد تلك المخارج التي تخرج منها أصوات العربية، فهي عند النحاة ستة عشر مخرجاً كما بيّنا سابقاً، وعند علماء القراءات سبعة عشر مخرجاً.

---

[1]– المبرد: المقتضب، ج: 1، ص: 192 وما يليها.

[2]– انظر: ابن السراج: الأصول في النحو، ج: 3، ص: 400 – 401.

[3]– انظر: ابن جني: الخصائص، ج: 1، ص: 192.

[4]– ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، ج: 1، ص: 198 – 199.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تابع علماء القراءات الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: 170هـ) في عدد مخارج الأصوات في العربية، وبيّنوا أنها سبعة عشر مخرجاً؛ إذ جعل الخليل بن أحمد مخرج الألف والواو والياء من الجوف، وليست من الموضع ذاته الذي تخرج منه الأصوات الصحيحة، وأكمل سائر المخارج على هذا النحو؛ مما يعني أنه ذكر مخرجاً لم يقل به تلميذه سيبويه (ت: 180هـ) ومن تابعه من سائر النحاة، وإنما نرى علماء القراءات هم من قالوا بهذا المخرج، وهو الصحيح كما وصف ابن الجزري سابقاً[1].

وعموماً فإن الخليل بن أحمد هو أول من تحدث عن مخارج هذه الأصوات وعددها، وبالرغم من أنه أول من تحدّث عن هذه المخارج إلا أن كلامه أقرب للدقة من كلام سواه من العلماء بما فيهم سيبويه (ت: 180هـ)، فإن أصوات المد واللين ليست كالأصوات الاحتكاكية الأخرى نحو الواو شبه الحركة، والياء شبه الحركة، بل لكل منها مخرجه، إذ من الصواب أن يعد لأصوات المد واللين مخرجاً خاصاً بها دون سائر الأصوات الأخرى، وهو ما أثبتته تجارب العلم الحديث في تناولها لأصوات العربية الفصحى في مستواها المعياري[2]، وهذا ما يؤكد كلام الخليل بن أحمد ومن تابعه.

ومن خلال ما سبق يمكن القول بأن علماء القراءات القرآنية كانوا أكثر توفيقاً في تحديد عدد مخارج الأصوات في العربية، إذ إنهم تابعوا في ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي في ما ذهب

---

[1]– الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو: العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت – لبنان، د.ط، ود.ت، ج: 1، ص: 52.

[2]– انظر: عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص: 31، مع الأخذ بعين الاعتبار ذلك الاختلاف الكبير والبون الشاسع بين نظرة علماء اللغة المحدثين إلى مخارج أصوات العربية وعلماء اللغة القدامى في نظرتهم تلك، فهناك اختلافات كبيرة بينهم مبيّنة في الصفحات التي تلي هذه الصفحة من كتاب الدكتور رمضان.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إليه من اعتبار مخارج الأصوات في العربية سبعة عشر مخرجاً، وأفرد لأصوات المد واللين مخرجاً جوفياً خاصاً بها، ولم يجعل مخرجها من مخارج الأصوات الصحيحة كما حصل مع سيبويه ومن تابعه، ومما يؤكد صحة ما ذهب إليه علماء القراءات ما أثبته علم اللغة الحديث، وتجارب الأصوات الحديثة، إذ تبيّن أن أصوات المد واللين تختلف في طبيعة مخرجها عن الأصوات الصحيحة.

وترتب على هذا الاختلاف في عدد المخارج مصطلح صوتي كان قد تحدث عنه الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: 170هـ)، ألا وهو مصطلح الأصوات الجوفية، أو الهوائية، باعتبار أنها تعتمد على الجوف والهواء الخارج منه في طبيعة صدورها عن القناة النطقية البشرية[1]، وهو ما لم نجده عند علماء النحو.

ويشير الباحث ضمن هذا السياق إلى أن بعض الاختلافات في المفاهيم والمصطلحات قد تقع عند عالم واحد من مجموعة العلماء، في حين أن سواه من العلماء لا يرون برأيه، أو يقولون بقوله، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في كلام الأخفش حيث قال: " فإنما هي "فَتَدارَأْتُم" ولكن التاء تدغم أحياناً كذا في الدال، لأن مخرجها من مخرجها. فلما أدغمت فيها حوّلت فجعلت دالا مثلها، وسكنّت فجعلوا ألفاً قبلها حتى يصلوا إلى الكلام بها، كما قالوا: "اضرْب" فألحقوا الألف حين سكنت الضاد. ألا ترى أنك إذا استأنفت قلت "ادّارأتم" ومثلها "يَذَّكَّرُونَ" و "تَذَّكَّرُونَ" و "أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ الْقَوْلَ" ومثله في القرآن كثير. وإنما هو "يَتدَبَّرون" فأدغمت التاء في الدال لأن التاء قريبة المخرج من

[1]– انظر المصطلح: الفراهيدي: العين، ج: 1، ص: 52.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الدال، مخرج الدال بطرف اللسان وأطراف الثنيتين، ومخرج التاء بطرف اللسان وأصول الثنيتين. فكل ما قرب مخرجه فافعل به هذا"[1].

فكلام الأخفش السابق يخالف كلام النحاة الذين يرون أن مخرج التاء والدال مخرج واحد، وإنْ اختلفا في بعض الصفات التي تميّز كل منهما عن الآخر، ولا اختلاف في موضع خروج كل منهما، إذ تخرج الدال والتاء من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، قال سيبويه (ت: 180هـ): "ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء"[2]، فهذا الكلام الذي نُقل عن سيبويه يدلنا أن مخرج الدال والتاء مخرج واحد، ولا يختلف أحدهما عن الآخر.

وبهذا الكلام قال سائر النحاة الذين تابعوا سيبويه في ما ذهب إليه من مخرج هذين الصوتين، كالمبرد (285هـ[3])، وابن السراج (ت: 316هـ[4])، وأبي جعفر النحاس (ت: 338هـ)[5]، وابن جني (392هـ)[6].

وليس الأمر موقوفاً عند علماء النحو فحسب، بل إن الأخفش في هذا القول خالف علماء القراءات أنفسهم، إذ نجد أبا علي الفارسي (ت: 377هـ) يبين أن الأصوات: الطاء، والدال، والتاء، من مخرج واحد، ولا فرق بينهما إلا في الصفات، أما موضع اللسان فإنه يوضع منها موضعاً واحدا[7]، وبهذا القول قال مكي بن أبي طالب القيسي (ت: 437هـ)[8].

---

[1]– الأخفش: معاني القرآن، ج: 1، ص: 114.
[2]– سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 434.
[3]– المبرد: المقتضب، ج: 1، ص: 193.
[4]– ابن السراج: الأصول في النحو، ج: 3، ص: 400.
[5]– النحاس: إعراب القرآن، ج: 4، ص: 247.
[6]– ابن جني: الخصائص، ج: 1، ص: 193.
[7]– الفارسي: الحجة للقراء السبعة، ج: 2، ص: 75.
[8]– مكي بن أبي طالب، أبو محمد حموش بن محمد: مشكل إعراب القرآن، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، 1405هـ، ج: 2، ص: 531 – 532.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هذا يعني أن الأخفش في مقالته السابقة لم يخالف النحاة فحسب، بل خالف علماء القراءات القرآنية كذلك، فما الذي دفع الأخفش إلى اعتبار أن الدال تخرج من طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا، في حين أن موضعها أصول الثنايا لا أطرافها؟

ربما أن ما دفع الأخفش إلى هذا القول توهّمه أن "الدال" بصورتها الكتابية كصورة "الذال" فكان حديث الأخفش عن الذال لا عن الدال، وكان يقصد قوله سبحانه وتعالى: "يذّكرون" بدلاً من "ادّارأتم"، فإن عالماً كالأخفش ليس من المعقول منه الخلط بين موضع الدال وموضع الذال، ولكن سياق الكلام هو ما دفعه إلى هذا الخلط غير المقصود.

وإن كنا قد التمسنا للأخفش عذراً في ما ذهب إليه من حديث مخالف لسائر العلماء حول مخرج الدال، إلا أنه كان يتوجب عليه أن يُفصح عن قصده في حديثه عن قوله: يذّكرون" لا عن "ادّارأتم" فإن أصل الكلام عن "ادّارأتم" مما يجعل القارئ مرتبطاً بهذه الكلمة دون سواها من الكلمات التي استدل بها الأخفش على سيرورة هذه الظاهرة في العربية.

وقد تظهر بعض المصطلحات المتعلقة بمخارج الأصوات عند النحاة في حين أننا لا نراها بوضوح عند علماء القراءات، وذلك نحو مصطلح "فُوَيْق" بالتصغير الذي استعمله سيبويه (ت: 180هـ) في حديثه عن مخرج الزاي والسين والصاد، حيث يقول: "ومما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج الزاي، والسين، والصاد"[1].

فهذا المصطلح الذي جاء به سيبويه (ت: 180هـ) يدل دلالة واضحة على قرب مخرج هذه الأصوات من الثنايا، إذ إنه جعل من مصطلح "فُوَيْق" بصيغة التصغير للدلالة على القرب المكاني كما هو واضح من خلال سياق حديثه عن مخارج هذه الأصوات، وكلمة "فُوَيْق" قد لا تدل

---

[1]- سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 433.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

على مصطلح مستقل بذاته في علم الأصوات، إلا أنه بشيء من التجوز يمكن لنا أن نعده مصطلحاً.

كما استعمل ابن السراج هذا المصطلح في حديثه عن مخرج صوت اللام، حيث يقول: "الثامن: من بين أول حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينهما وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فُوَيْق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام"[1].

فواضح أن النحاة استعملوا هذا المصطلح للدلالة على قرب المسافة المكانية بين عضوي النطق في حال نطق الأصوات، وكان سبيلهم إلى ذلك استعمال صيغة التصغير التي جاءت في قولهم: "فُوَيْق"، وهو تصغير للظرف المكاني "فوق".

وفي حين استعمل النحاة هذا المصطلح فإنه لا يظهر عند علماء القراءات، خاصة في حديثهم عن هذه الأصوات بالتحديد، فالأزهري (ت: 370هـ) مثلاً يقول عن مخرج أصوات الزاي والسين والصاد: "ومن قرأ بالصاد فلأن مخرج السين والصاد من طرف اللسان فيما بينه وبين الثنايا، والسين والصاد يتعاقبان في كل حرف فيه غين أو قاف أو طاء أو خاء"[2].

فهذا الحديث السابق عن مخرج صوتي الصاد والسين لم يتطرق فيه الأزهري (ت: 370هـ) للحديث فيه عن مصطلح "فُوَيْق" إذ إن هذا المصطلح رأيناه عند النحاة، بل اكتفى الأزهري بوصف المخرج على أنه بين طرف اللسان والثنايا العليا، هذا هو المصطلح الذي تميّز به النحاة عن علماء القراءات.

وهذا الوصف لمخرج الصاد والسين عند علماء القراءات يتشابه مع وصف مخرج اللام، إذ بيّن أبو علي الفارسي (ت: 377هـ) أن مخرج اللام من طرف اللسان، أي من موضع خروج الراء،

---

[1]- ابن السراج: الأصول في النحو، ج: 3، ص: 400.

[2]- الأزهري: معاني القراءات، ج: 1، ص: 111.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

غير أن ما يميز الراء عن اللام أنها تشتمل على تكرير للصوت، في حين أن اللام لا تشتمل على هذا التكرير[1].

وبناء على ما سبق فإنه يمكننا أن نتوصل إلى نتيجة تتمثل بأن علماء القراءات ضمن القرون الأربعة الأولى لم يستخدموا لفظ "فُوَيق" في حديثهم عن مخارج الأصوات، في الوقت الذي استعمل فيه النحاة هذا المصطلح بدءاً من سيبويه (ت: 180هـ) وابن السراج (ت: 316هـ)، فهذا المصطلح كان سبيلاً لبيان أن مخرج الصوت قريب في مكانه النطقي بين عضوي النطق وهما طرف اللسان والثنايا العليا، إذ إن التصغير يدل على تقريب المكان في بعض الحالات، كقولنا: فويق، فإنه يدل على أن الموضع فوق ولكن ليس بعيداً[2]، فاختصر النحاة هذا بقولهم: فُوَيق".

ومن خلال نظرتنا إلى هذا المصطلح يمكننا أن نصفه بأنه متناسب مع المعنى الذي وَضِع له عند النحاة، فإنهم أرادوا تقريب المسافة بين طرف اللسان والثنايا العليا في نطق تلك الأصوات، وفي حقيقة النطق فإن هذه المسافة قريبة جداً بين عضوي النطق، لذا كان مصطلح "فُوَيق" مناسبا جداً في الوصول إلى المعنى المراد، وكان الأولى بعلماء القراءات أن يأخذوا بهذا المصطلح كما هو عند النحاة.

ويتناول كل من النحاة وعلماء القراءات الحديث عن الأصوات بوصف مكان خروجها من القناة النطقية على أنه مخرج، إذ يذكرون مخرج النون، ومخرج الهمزة، وهكذا، غير أن النحاة يرددون مصطلحاً آخر جنباً إلى جنب مع هذا المصطلح، ألا وهو مصطلح "موضع" يقول سيبويه

---

[1]- انظر: الفارسي: الحجة للقراء السبعة، ج: 3، ص: 118.

[2]- انظر: الاستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن: شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، 1975م، ج: 1، ص: 192.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(ت: 180هـ) متحدثاً عن مخرج القاف والكاف: " ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف"[1]، وبهذا المصطلح قال أيضاً ابن السراج (ت: 316هـ)[2]، وأبو جعفر النحاس (ت: 338هـ[3])، وابن جني (ت: 392هـ)[4].

وفي حين سار هذا المصطلح جنباً إلى جنب مع مصطلح "المخرج" عند النحاة نجد أن علماء القراءات لم يشع بين مصطلحاتهم الصوتية هذا المصطلح، بل كان مصطلح "المخرج" هو الشائع، وربما لا نجد سوى ملحوظات هامشية لذكر مصطلح "الموضع" في كلامهم، من بينها قول الأخفش (ت: 215هـ) عن لفظ "اصطلح": "فكانت التاء بعد الصاد فلم تدخل الصاد فيها للجهر والإطباق، فأبدلوا التاء طاءً، وقال بعضهم: يصطلحا، وهي الجيدة، لما لم يقدر على إدغام الصاد في التاء حُوِّل في موضع التاء حرف مطبق"[5].

فهذا الكلام للأخفش (ت: 215هـ) يدل على استعماله لمصطلح "موضع" ولكن ليس بالكثرة التي نراها عند النحاة، كما أن استعماله له لم يكن بالمعنى ذاته المستعمل فيه عند النحاة على ما سنبين لاحقاً.

والظاهر للباحث أن النحاة قد فرّقوا في حديثهم عن مخارج الأصوات بين المخرج والموضع، فإن المخرج مخرج صوت واحد كصوت الهمزة، أو الدال، أو غيرها من أصوات العربية، في حين أن الموضع هو مكان خروج مجموعة من الأصوات، فموضع واحد تخرج منه ثلاثة مخارج هي: الدال، والتاء، والطاء، وموضع واحد تخرج منه ثلاثة مخارج أيضاً: هي: الثاء، والذال،

---

[1]– سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 434.

[2]– ابن السراج: الأصول في النحو، ج: 3، ص: 400.

[3]– النحاس: إعراب القرآن، ج: 4، ص: 247.

[4]– ابن جني: المنصف، ص: 205.

[5]– الأخفش: معاني القرآن، ج: 1، ص: 398.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والظاء، يعني أن الموضع أكبر حيّزاً من المخرج، هذا ما يمكن لنا أن نستنتجه من كلام أبي جعفر النحاس حيث يقول: " إن شئت أدغمت الدال في السين فقلت: قد سمع، لأن مخرج الدال والسين جميعا من طرف اللسان، وإن شئت بيّنت فقلت: قد سمع الله، لأن الدال والسين، وإن كانتا من طرف اللسان، فليستا من موضع واحد لأن الدال والتاء والطاء من موضع واحد، والسين والصاد والزاي من موضع واحد. يسمّين حروف الصفير، وأيضا فإن السين منفصلة من الدال"[1].

يتضح من هذا الكلام أن علماء القراءات لم يدرج في كلامهم استعمال مصطلح "الموضع" بل درج استعمال مصطلح المخرج، وهو ما لم يكن عند النحاة، فإنهم افترقوا عن علماء القراءات بأن ذكروا مصطلح الموضع.

ومصطلح "موضع" في ظاهره يدل على معنى مشابه لمعنى مصطلح "مخرج" وهو ما رأيناه تماماً عند الأخفش (ت: 215هـ) فإنه استعمل مصطلح "موضع التاء" أي: مخرج التاء، ولا يمكن أن نقدر غير هذا المعنى في ظن الباحث، أما من الناحية العميقة فإن مصطلح "موضع" عند النحاة يستعمل في غير معنى مصطلح "مخرج"، فمخرج عند النحاة يدل على مكان خروج صوت واحد من أصوات العربية، في حين أن مصطلح "موضع" عند النحاة يدل على مكان خروج عدد من أصوات العربية، كصوت الطاء والدال والتاء، فإنها ثلاثتها تخرج من موضع واحد، ألا وهو طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، وكذلك الحال مع سائر مواضع المخارج، مما يعني أن مصطلح مخرج يدل على معنى بعينه، ومصطلح "موضع" يدل على معنى آخر بعينه، مما يخرج النحاة من واحد من مزالق المصطلح ألا وهو مجيء مصطلحين لمعنى واحد.

---

[1]- النحاس: إعراب القرآن، ج: 4، ص: 247.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن المواضع ما يكون فيها الاختلاف عند واحد من العلماء دون سائر العلماء الآخرين من فئته، كما نجد عند أبي علي الفارسي (ت: 377هـ) الذي بيّن أن الهاء من جنس الياء، وهو كلام لا يوافق كلام النحاة ولا علماء القراءات وذلك إذ يقول: " إن الهاء من جنس الياء، لأنّ الهاء تنقطع إلى مخرج الياء، فوجب لذلك إتباع الهاء الياء"[1].

وكما مر في الصفحات السابقة فإن مخرج الياء من موضع، ومخرج الهاء من موضع آخر، فكيف إذن يكون مخرج الهاء ينتهي إلى مخرج الياء؟ هذا كلام غير مفهوم من أبي علي الفارسي (ت: 377هـ)، علاوة على مخالفته لسائر أقوال النحاة وعلماء القراءات الذين تناولوا الحديث عن هذه المصطلحات والمخارج.

وفي نهاية هذا المبحث يمكن أن نرى جيداً أن علماء القراءات والنحاة يفترقون في بعض تفصيلاتهم عند حديثهم عن المصطلح الصوتي ضمن مخارج الأصوات، وهذه التفصيلات ليست إلى حد كبير من الأهمية، فتصل به إلى اختلاف في المنهجية والمعنى، بل هي مجرد اختلاف في الجزئيات لا أكثر.

ومن ناحية أخرى فإن النحاة تميّزوا عن علماء القراءات في تناولهم لتلك المصطلحات الصوتية ضمن حديثهم عن مخارج الأصوات، ومن بين ذلك التميّز ما كان من تداولهم لمصطلح "موضع" في حين لم يظهر هذا المصطلح عند علماء القراءات إلا قليلاً، وبمعنى مغاير للمعنى الذي يرد فيه عند النحاة، وكذلك الأمر في مصطلح "فُوَيق" ففي حين ظهر هذا المصطلح جلياً في حديث النحاة عن مخارج الأصوات لم نجده عند علماء القراءات، وهو مصطلح مهم جداً في ظن الباحث لما يدل عليه من تقارب الموضع النطقي للحرف.

---

[1]– الفارسي: الحجة للقراء السبعة، ج: 1، ص: 59.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثانياً: في صفات الأصوات:

مرّ في الفصل الثاني تلك المواضع الكثيرة التي اتفق فيها النحاة مع علماء القراءات ضمن حديثهم عن المصطلح الصوتي في مبحث صفات الأصوات، أما في هذا المبحث، فإن الحديث سينصب على تلك المواضع الخاصة بالمصطلح الصوتي ضمن حديث علماء القراءات القرآنية والنحاة عن صفات الأصوات، واختلافهم في تلك المصطلحات الصوتية المتعلقة بصفات الأصوات، وأول هذه المواضع ما يتعلق بالجانب المنهجي عند كلا الطرفين في إيراد الحديث عن صفات الأصوات، فالنحاة يجعلون باباً خاصاً ضمن مؤلفاتهم النحوية يتناولون فيه الحديث عن تلك المصطلحات، ويصنفون الأصوات ضمن صفاتها، ويبينون جميع تلك الصفات التي تتعلق بالأصوات العربية.

أما علماء القراءات, فإن الحديث عن صفات الأصوات عندهم يرد ضمن حديثهم عن مسائل القراءات القرآنية، وتكون تلك المواضع مبثوثة في ثنايا الكتاب، وليست مبوبة في مبحث خاص بها، علاوة على أن علماء القراءات القرآنية ربما لا يتناولون الحديث عن جميع تلك المصطلحات المتعلقة بصفات الأصوات أو حتى عن الصفات نفسها.

يعني هذا أن النحاة كانوا أكثر اهتماماً بصفات الأصوات ومصطلحاتها من علماء القراءات القرآنية، لا من حيث التناول والاهتمام العلمي بها، بل من حيث المنهجية والطريقة التي يتم بها تبويب المادة العلمية، فقد أظهر النحاة براعتهم في ذلك، في حين بقيت تلك المصطلحات ومفاهيمها مبثوثة في كتب علماء القراءات دون تبويب أو ترتيب منهجي.

ومن الأمثلة على تلك الاختلافات بين النحاة وعلماء القراءات القرآنية في حديثهم عن المصطلحات المتعلقة بصفات الأصوات ما جاء في حديث النحاة عن الأصوات المهموسة، إذ إنهم يبينون أنها أصوات يجري النفس معها، ولا ينقطع كانقطاعه مع الأصوات المجهورة، وهذا

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المفهوم للأصوات المهموسة درج عليه النحاة منذ سيبويه (ت: 180هـ)[1]، فقال به المبرد (ت: 285هـ)[2]، وابن السراج (ت: 316هـ)[3]، وابن جني (ت: 392هـ)[4].

فإن النحاة ضمن الإطار الزمني لهذه الدراسة بيّنوا أن "النَّفَس" يجري مع الأصوات المهموسة، وهذا ظاهر موقف علماء القراءات القرآنية، فإنهم يسمونه النفس أيضاً[5]، غير أن ذلك لا ينفي وجود بعض الاختلافات الاصطلاحية عند بعضهم.

إذ نجد أبا علي الفارسي (ت: 377هـ) يأتي بمصطلح آخر للنَّفَس في حديثه عن المهموس من الأصوات، ألا وهو النفخ، فيقول: "والحروف المهموسة إذا وقف عليها كان الوقف مع نفخ، لأنها لمّا لم تعترض على النّفس اعتراض المجهورة، فتمنعها من أن يجري معها كما منعت المجهورة حين خرجت مع التنفس وانسلّت معه"[6].

فإن أبا علي الفارسي (ت: 377هـ) في كلامه السابق يختلف مع النحاة في طبيعة وصفه لصفة الهمس التي تتصف بها بعض الأصوات في العربية، إذ إن النحاة يقولون في وصفها بأنها أصوات ضعف الاعتماد عليها في موضعها، فلم يمنع ذلك من جريان النفس معها، أما أبو علي الفارسي (ت: 377هـ) فإنه يبين أنها أصوات تصدر عن اللسان أو جهاز النطق مع النفخ، فاستعمل مصطلح "النفخ" بدلاً من مصطلح "النَّفَس"، وهو يقصد بهذا المصطلح نفخ الهواء، ولكن بوجود بعض الاختلافات الدلالية بين مصطلح: النفس، ومصطلح: النفخ.

---

[1]– سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 434.

[2]– المبرد: المقتضب، ج: 1، ص: 194.

[3]– ابن السراج: الأصول في النحو، ج: 3، ص: 401.

[4]– ابن جني: الخصائص، ج: 1، ص: 195.

[5]– انظر: ابن مجاهد: السبعة في القراءات، ص: 107.

[6]– الفارسي: الحجة للقراء السبعة، ج: 1، ص: 131.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وما دام النفس يدل على خروج الهواء من الرئتين، والنفخ يدل كذلك على خروج الهواء من الرئتين فإن ذلك يؤدي إلى القول بأن مصطلح النفس ومصطلح النفخ مصطلحان لمفهوم واحد، ولمعنى واحد، ضمن المستوى الصوتي في هذه الحقبة، وهذا عيب من عيوب المصطلح، إذ من المفترض أن يكون المصطلح مختصا بمفهوم واحد، وليس للمفهوم مصطلحان أو أكثر كما رأينا.

ومن المواضع التي نجد فيها اختلافاً ضمن حديث العلماء عن المصطلح الصوتي المتعلق بصفات بعض الأصوات ما نجده عند ابن جني (ت: 392هـ) من النحاة؛ إذ بيّن أن من حروف القلقلة حرف الكاف، يقول: "واعلم أن من الحروف حروفاً محصورة في مواضعها فتسمع عند الوقف على الحرف منها نبرة تتبعه، وهي حروف القلقلة، وإذا تفقدت ذلك وجدته، فمنها القاف والكاف إلا أنها دون القاف لأن حصر القاف أشد، وإنما تظهر هذه النبرة في الوقف، فإذا وصلت لم يكن؛ لأنك أخرجت اللسان عنها إلى صوت آخر فحلت بينه وبين الاستقرار، وهذه المقلقلة بعضها أشد حصراً من بعض كما ذكرت لك في القاف والكاف"[1].

فكلام ابن جني السابق واضح الدلالة على أنه يعد الكاف من أصوات القلقلة، والواقع أن ذلك ليس دقيقاً من ابن جني، إذ تحدث علماء القراءات القرآنية عن هذه الصفة، وبيّنوا أنها تظهر في خمسة أصوات هي: القاف، والطاء، والباء، والجيم، والدال، وليست الكاف منها[2].

فالكلام السابق يدل على تفرد واحد من النحاة ألا وهو ابن جني (ت: 392هـ) في نظرته لحروف القلقلة، إذ عدّ الكاف منها، في حين أن غيره من النحاة لم يعدوها منها، ومن بينهم المبرد (ت: 285هـ)[3].

---

[1]- ابن جني: الخصائص، ج: 1، ص: 196.

[2]- انظر: ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، ج: 1، ص: 203.

[3]- المبرد: المقتضب، ج: 1، ص: 194.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وبناء عليه فإن ابن جني لم يكن موفقاً في نظرته للكاف على أنها صوت من أصوات القلقلة، وذلك لعدم موافقة هذا كله لما ورد عن النحاة أنفسهم، وعلماء القراءات القرآنية.

ومن ناحية أخرى فإن النحاة انفردوا بالحديث عن صفة المنحرف لصوت اللام، وهو ما لم يعثر عليه الباحث في كلام علماء القراءات ضمن حقبة الدراسة، فإن هذه الصفة يختص بها صوت اللام دون سائر أصوات العربية، إذ بيّن سيبويه (ت: 180هـ) أنه صوت شديد، غير أن شدته لا تمنع من استمرار الصوت في جانبي اللسان، يقول: " ومنها المنحرف، وهو حرفٌ شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة، وهو اللام. وإن شئت مددت فيها الصوت. وليس كالرخوة؛ لأن طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه. وليس يخرج الصوت من موضع اللام ولكن من ناحيتي مستدقّ اللسان فويق ذلك"[1].

وتابع النحاة سيبويه في ما ذهب إليه من الحديث عن الحرف المنحرف وهو اللام، ومن بينهم المبرد (ت: 285هـ)[2]، وابن السراج (ت: 316هـ)[3]، وابن جني (ت: 392هـ)[4].

ومن ناحية أخرى فإن الباحث لا يجد أحداً من علماء القراءات ضمن القرون الهجرية الأولى من تحدث عن هذه الصفة، وبيّن أنها مختصة بصوت اللام دون سائر أصوات العربية.

ومن المواضع التي تشتمل على اختلاف في المصطلحات الصوتية بين علماء القراءات القرآنية والنحاة ما نجده عند الأخفش (ت: 215هـ) حين تحدث عن أصوات اللين، فقال: " وحروف اللين الياء والواو والألف اذا كن سواكن"[5].

---

[1]– سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 435.

[2]– المبرد: المقتضب، ج: 1، ص: 213.

[3]– ابن السراج: الأصول في النحو، ج: 3، ص: 403.

[4]– ابن جني: الخصائص، ج: 1، ص: 196.

[5]– الأخفش: معاني القرآن، ج: 1، ص: 160.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يشير كلام الأخفش (ت: 215هـ) السابق إلى أن حروف اللين ثلاثة: الواو، والياء والألف، وهذا ما يخالف به جمهور العلماء من النحاة وعلماء القراءات؛ إذ إنهم يعدون الواو والياء حروف لين، في حين أن الألف لا تعد كذلك، هذا ما يشير إليه سيبويه (ت: 180هـ)، وذلك إذ يقول: " ومنها اللينة، وهي الواو والياء، لأن مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما كقولك: وأىٌ، والواو وإن شئت أجريت الصوت ومددت"[1].

فكلام سيبويه (ت: 180هـ) السابق ليس قابلاً للتحليل أو التأويل، بل إنه واضح الدلالة على أن أصوات اللين في العربية هي الواو والياء، وأن الألف لا تعد من هذه الأصوات، بل إنها تعد صوتاً مدياً، يعني ذلك أن أصوات الواو والياء والألف التي جعلها الأخفش أصوات لين هي أصوات مدية، وأن أصوات اللين هما الواو والياء فحسب، وتابع ابن السراج (ت: 316هـ) سيبويه في ما ذهب إليه من عد صوتي الواو والياء لينين في حين أن الألف ليست كذلك[2]، وبذلك قال ابن جني (ت: 392هـ)[3].

وبناء على ما تقدم من حديث, فإن الأخفش (ت: 215هـ) لم يكن موفقاً في ما ذهب إليه من اعتباره الألف حرفاً من حروف اللين، وإن ما يُستغرب في ذلك أنه وصف تلك الحروف بقوله: إذا كن سواكن، فهل من الممكن أن تأخذ الألف حركة؟

إن مما استقر عليه كلام العلماء قديماً وحديثاً أن الألف المدية لا تحمل حركة أبداً، ولا تظهر عليها الحركات، فهي دائمة بحكم الساكنة، وهذا ما يمنع الابتداء بها[4]، مما يزيد من ضعف

---

[1]– سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 435.

[2]– ابن السراج: الأصول في النحو، ج: 3، ص: 403.

[3]– ابن جني: الخصائص، ج: 1، ص: 196.

[4]– ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج: 2، ص: 295.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وجهة نظر الأخفش (ت: 215هـ) حين جعل هذه الألف من حروف اللين، ثم وصفها بأنها ساكنة، وكانت تلك الصفة لا تطابق واقع هذا الصوت العربي.

ومن بين المواضع ما كان من حديث النحاة عن صفة القلقلة بشكل موسع، في حين أننا لم نجد هذا الحديث عن هذه الصفة عند علماء القراءات ضمن حقبة الدراسة، يقول سيبويه (ت: 180هـ) في القلقلة: " واعلم أن من الحروف حروفاً مشربة ضغطت من مواضعها، فإذا وقفت خرج معها من الفم صويتٌ، ونبا اللسان عن موضعه، وهي حروف القلقلة، وستبين أيضاً في الإدغام إن شاء الله. وذلك القاف، والجيم، والطاء، والدال، والباء. والدليل على ذلك أنك تقول: الحذق فلا تستطيع أن تقف إلا مع الصويت، لشدة ضغط الحرف. وبعض العرب أشد صوتاً، كأنهم الذين يرومون الحركة"[1].

تتمثل صفة القلقلة في وجود نبرة صوتية بعد صوت الحرف عند الوقوف عليه، وسبب هذا الصوت عائد إلى أن هذه الحروف ضُغِطت مواضعها[2].

يعني أن مصطلح القلقلة يُطلق على تلك الأصوات التي ضُغطت مواضعها حتى صار يُسمع بعد النطق بالحرف صويت يدلّ على الحرف نفسه.

ولا نجد علماء القراءات القرآنية يذكرون هذا المصطلح، بل نجده عند المتأخرين منهم، فقد بيّن ابن الجزري أن هذه الصفة تأتي وفق مصطلحين: القلقلة، وقيل اللقلقة، وهو مصطلح ثانٍ لهذه الصفة الصوتية من صفات الأصوات في العربية، غير أنه ليس شائعاً إلى الحد الذي يشيع فيه مصطلح القلقلة عند النحاة وسائر علماء القراءات[3].

---

[1]– سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 174.

[2]– المبرد: المقتضب، ج: 1، ص: 194.

[3]– ينظر: ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، ج: 1، ص: 203.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن هنا فإنه يمكننا القول بأن النحاة قد انفردوا عن علماء القراءات في حقبة الدراسة بالحديث عن صفة القلقلة التي لا نجد علماء القراءات القرآنية يتحدثون عنها، بل اكتفى بعضهم بوصفها وصفاً عاماً.

ومن بين تلك الصفات التي انفرد النحاة بالحديث عنها دون علماء القراءات صفة الهاوي، وهي صفة تطلق على صوت الألف، يقول سيبويه (ت: 180هـ): " ومنها الهاوي وهو حرفٌ اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو، لأنك قد تضم شفتيك في الواو وترفع في الياء لسانك قبل الحنك، وهي الألف"[1].

وتابع النحاة سيبويه (ت: 180هـ) في هذا المصطلح الذي أطلقه على صوت الألف وهو مصطلح "الهاوي"، فتابعه المبرد (ت: 285هـ)[2]، وابن السراج (ت: 316هـ)[3]، وابن جني (ت: 392هـ)[4].

وهذا المصطلح "الهاوي" لا نجده عند علماء القراءات، مما يدلنا على أن النحاة قد تميّزوا بحديثهم عن هذه الصفة دون علماء القراءات، بل ووضعوا لها مصطلحها الخاص بها، وهو مصطلح يدل على معرفتهم بتلك الأصوات المدية التي يتميز بعضها عن بعضها الآخر.

وفي نهاية هذا المبحث يمكن القول بأن النحاة قد تميّزوا بحديثهم عن المصطلحات التي تتعلق بصفات الأصوات بشكل يغاير ما عليه علماء القراءات القرآنية، فالنحاة:

- أكثر دقة في إيراد تلك المصطلحات ضمن أبوابها.
- أكثر شمولاً في تناول تلك المصطلحات مرتبطة بصفاتها.

---

[1]- سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 435 – 436.

[2]- المبرد: المقتضب، ج: 1، ص: 192.

[3]- ابن السراج: الأصول في النحو، ج: 3، ص: 404.

[4]- ابن جني: الخصائص، ج: 1، ص: 196.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- أكثر اتساعاً في وصف تلك الصفات.
- يوردون صفات لم يتطرق لها علماء القراءات، مثل: المنحرف للام، والهاوي للألف، والقلقلة لأصواتها المثبتة في هذا الفصل.

ثالثاً: في أعضاء النطق والجهاز الصوتي:

ثمة مجموعة كبيرة من أعضاء النطق اتفق النحاة وعلماء القراءات القرآنية على إيرادها ضمن حديثهم عن مواضع نطق الأصوات العربية، ظهر أكثرها شائعاً بين أوساط أهل العلم، كاللسان والشفتين، والأسنان وهكذا، غير أنه ثمة أعضاء متطرفة في دورها النطقي لم يرد الحديث عنها مثلاً عند النحاة، أو عند علماء القراءات، ومن ذلك مثلاً الحلقوم، فإن النحاة لم يذكروا هذا العضو النطقي، في حين أن علماء القراءات القرآنية ذكروه، يقول الفراء (ت: 207هـ) مثلاً: " والحبل هو الوريد بعينه أضيف إلى نفسه لاختلاف لفظ اسميه، والوريد: عرق بين الحلقوم والعلباوين"[1].

وكما ذكر الفراء (ت: 207هـ) في ما سبق لفظ "الحلقوم" على أنه عضو من أعضاء الجسم البشري ذكره كذلك الأخفش (ت: 215هـ)[2]، والزجاج (ت: 311هـ)[3]، غير أنهما لم يذكراه على أنه عضو من أعضاء النطق.

ولكن حينما ننظر في أقوال هؤلاء العلماء بدءاً من الفراء (ت: 207هـ) لا نجدهم يتطرقون للحديث عن الحلقوم على أنه عضو من أعضاء النطق، بل يتحدثون عنه على أنه عضو من أعضاء الجسم البشري، ولا يرتبط أبداً عندهم بنطق الأصوات، أو إصدار الهواء لنطق تلك

---

[1]- الفراء: معاني القرآن، ج: 3، ص: 76.

[2]- انظر: الأخفش: معاني القرآن، ج: 2، ص: 533.

[3]- انظر: الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، ج: 5، ص: 117.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الأصوات، مما يشير إلى أنهم حينما تطرقوا للحديث عن هذا العضو النطقي لم يعدوه من تكوين جهاز الصوت البشري.

ومن ناحية ثانية فإن علماء القراءات وإن لم يتحدثوا عن الحلقوم بوصفه عضوا من أعضاء النطق، فإن الباحث لم يعثر على موضع تحدّث فيه النحاة عن الحلقوم، لا باعتباره عضو نطق، ولا باعتباره عضواً في جسم الإنسان، فيكفي أن علماء القراءات قد ذكروا هذا العضو بصرف النظر عن اعتبارهم له.

وكما كان حديث علماء القراءات عن الحلقوم دون ربطه بأعضاء النطق البشري كان حديثهم أيضاً عن الرئة بوصفها مصدراً للهواء يؤدي إلى إصدار الصوت البشري، ومن ذلك ما جاء في كلام الفراء (ت: 207هـ) عن معنى قوله سبحانه وتعالى: "وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ[1]"، يقول: "ذُكر أن الرجل منهم كانت تنتفخ رئته حَتَّى ترفع قلبه إلى حنجرته من الفزع"[2].

فإن كلام الفراء (ت: 207هـ) السابق عن الرئة لا يعني أنه جعلها من جملة أعضاء النطق في الجهاز النطقي البشري، وإنما تحدّث عنها من ناحية تفسيرية بحتة بيّن فيها موضع هذه الرئة من جسم الإنسان، ودورها في وصول المعنى الحقيقي المراد من الآية الكريمة، أما أن يتحدث عنها باعتبارها عضواً من أعضاء النطق فهذا لم يظهر من كلامه السابق.

هذا يعني أن بعض علماء القراءات القرآنية الكريمة قد ذكروا "الحنجرة" على أنها عضو من أعضاء الجسم البشري، ولم يذكروها باعتبارها عضو من أعضاء النطق، في حين أن النحاة لم يذكروا هذا العضو إطلاقاً سواء أكان ضمن الدلالة على أعضاء النطق، أو أعضاء الجسم البشري، مما يمنح علماء القراءات شيئاً من التميّز في نظرتهم إلى هذا العضو النطقي.

---

[1]– سورة الأحزاب، آية: 10.

[2]– الفراء: معاني القرآن، ج: 2، ص: 336.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفي نهاية هذا المبحث يمكن القول بأن الاختلافات المصطلحية بين النحاة وعلماء القراءات لم تكن كثيرة ضمن مبحث أعضاء النطق والجهاز الصوتي، بالرغم من ورود بعض الملحوظات التي ذكرت سابقاً فإنها لا ترقى إلى مستوى تلك الملحوظات التي رأيناها في المباحث السابقة.

ويرجع السبب في وجود تلك الاختلافات الطفيفة في الحديث عن مخارج الأصوات سواء عند علماء النحو أم علماء القراءات إلى قلة الأدوات العلمية التي كانت بين أيديهم في ذلك الحين، فهم لم يكونوا على وعي تام بدور بعض الأعضاء النطقية في إخراج الأصوات اللغوية، كالحنجرة، والحلقوم، والرئتين، فإن هذه الأعضاء لم تكن في ذلك الوقت ذات قيمة صوتية واضحة لهؤلاء العلماء؛ لذا لم يتطرقوا للحديث عنها ضمن أعضاء النطق.

رابعاً: في الظواهر الصوتية المختلفة:

مرّ في الفصل السابق مجموعة من الظواهر الصوتية كالإدغام والنبر، والإمالة، وغيرها، وتبين خلاله ما اتفق عليه النحاة وعلماء القراءات من حيث المصطلح الصوتي المتعلق بهذه الظواهر الصوتية، وسيعرض هذا الفصل تلك المواضع التي اختلف فيها النحاة مع علماء القراءات ضمن الحديث عن مصطلحات تلك الظواهر الصوتية المختلفة.

ربما كان الاختلاف متعلقاً بواحد من العلماء دون سواه، كما نجد ذلك عند ابن مجاهد (ت: 324هـ) حين تحدّث عن ظاهرة الإدغام، فقال: " **والإدغام تقريب الْحَرْف من الْحَرْف إِذا قرب مخرجه من مخرجه فِي اللِّسَان كَرَاهِيَة أَن يعْمل اللِّسَان فِي حرف وَاحِد مرَّتَيْنِ فيثقل عَلَيْهِ وَهُوَ عِنْد الْخَلِيل إِذا أظهر مثل إِعَادَة الحَدِيث مرَّتَيْنِ أَو كخطو الْمُقَيد**"[1].

---

[1]– ابن مجاهد: السبعة في القراءات، ص: 125.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يتضح من كلام ابن مجاهد (ت: 324هـ) السابق أنه عدّ الإدغام تقريب الحرف من الحرف كي يسهل النطق بهما، وبيّن ذلك عند الخليل بأنه كمشي المقيد لو أُظهر الحرفان، وهو مفهوم يختلف قليلاً عما نجده عند النحاة أو حتى عند علماء القراءات القرآنية أنفسهم، فقد بيّن سيبويه (ت: 180هـ) أن الإدغام إدخال الحرف في الحرف، فإنك تضع لسانك في النطق بهما في موضع واحد لا يزول عنه[1].

أي أن الإدغام إدخال الصوت في الصوت، وهو آتٍ من قولنا: أدغمت اللجام في فم الفرس، إذا أدخلته فيه وليس إذا قرّبته منه، وهو ما ذكره النحاة من بعد سيبويه (ت: 180هـ) كالمبرد (ت: 285هـ)[2]، وابن الوراق (ت: 381هـ)[3].

ولم يكن هذا المفهوم للإدغام خاصاً بالنحاة فحسب، بل إن علماء القراءات أنفسهم قالوا بهذا المفهوم كابن خالويه (ت: 370هـ)[4]، وابن زنجلة (ت: 403هـ)[5].

ومن هنا فقد اختلف ابن مجاهد مع جمهور العلماء من النحاة وعلماء القراءات في عدّه الإدغام تقريبا للحرفين، والواقع أنهما إدخال الأول في الثاني وليس تقريبه منه، صحيح أن التقريب يؤدي إلى الإدغام وهو إدغام المتقاربين، إلا أن الأولى كون مفهوم الإدغام إدخالا لا تقريبا.

ربما قصد ابن مجاهد من حديثه عن تقريب الحرف من الحرف التقريب اللفظي لا النطقي، أي أنه قصد بتقريب الحرف المتماثل بمثيله من خلال حذف الحركة التي تفصل بينهما،

---

[1]– سيبويه: الكتاب، ج: 4، ص: 437.

[2]– المبرد: المقتضب، ج: 1، ص: 206.

[3]– ابن الوراق: علل النحو، ص: 555.

[4]– ابن خالويه: الحجة في القراءات السبع، ص: 63.

[5]– ابن زنجلة: حجة القراءات، ص: 84.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فالقرب هاهنا قرب مكاني لا قرب تصويتي، أي أن اعتبار حذف الفاصل الحركي بين الصوتين المتماثلين تقريب لهما إلى بعضهما.

ومن بين المواضع التي اختلف فيها بعض علماء القراءات القرآنية مع النحاة ما جاء عن الأزهري (ت: 370هـ) في حديثه عن النبر، حيث قال: " وللعرب مذاهب في الهمز: فمنهم من يحقق الهمز، ويسمونه النبر "[1].

فمن خلال كلامه السابق يمكن أن يتبين أنه يعد النبر من سمات الهمز فقط دون سواه من الأصوات العربية الأخرى، فجعل للعرب مذهب في الهمز سماه التحقيق، فتحقيق الهمز عنده ما هو إلا النبر.

ربما كان ما دفع الأزهري (ت: 370هـ) إلى اعتبار النبر مختصا بالهمزة فحسب دون سائر الأصوات أن الهمزة ذاتها تسمى أيضاً نبرة، يقول سيبويه (ت: 180هـ): " واعلم أنَّ الهمزة إنَّما فعل بها هذا من لم يخففها؛ لأنَّه بعد مخرجها، ولأنها نبرةٌ في الصدَّر تخرج بالاجتهاد، وهي أبعد الحروف مخرجاً، فثقل عليهم ذلك، لأنَّه كالتهُّوع"[2].

غير أن هذا المصطلح "نبرة" ليس مساوياً لمصطلح "النبر" الذي هو مقصد البحث، إذ يدل هذا المصطلح على مسمى الهمزة ذاته، ولا يدل على سواه، في حين أن مفهوم النبر يدل على سائر الأصوات المنبورة في العربية التي يُسمع معها صوت ارتدادي – إن صح التعبير – يدل على تقلقل تلك الأصوات في مواضعها[3].

---

[1]– الأزهري: معاني القراءات، ج: 1، ص: 128.

[2]– سيبويه: الكتاب، ج: 3، ص: 548.

[3]– انظر: المبرد: المقتضب، ج: 1، ص: 194.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويبدو أن الأزهري (ت: 370هـ) لم يكن جاهلاً بمفهوم النبر الواسع، بل إنه أراد أن يبين أن الهمزة تسمى النبرة، ولكن تعبيره عن ذلك لم يكن واضحاً، يؤيد ذلك أنه يقول في موضع آخر من كتابه: " ومن جعلها واوا ساكنة قال (كَلاَتُ) بألف، يُتْرك النَّبرَ منها"[1].

فكلامه هذا يدل على أنه يميز بين مفهوم النبر الواسع لسائر أصوات العربية، ومفهوم النبرة الذي انفردت به الهمزة من بين أصوات اللغة العربية.

وهذا الموقف من اعتبار أن الهمز ليس وحده المقصود بالنبر في العربية يؤدي إلى تكوّن مجموعة من الأصوات المنبورة في اللغة، كأصوات القلقلة، فإن المبرد (ت: 285هـ) وصفها بأنها أصوات تسمع عند النطق بها نبرة، فكانت هذه الأصوات خاضعة لمصطلح النبر هي أيضاً[2].

ومن خلال ما سبق يمكن القول بأن النحاة كانوا أكثر وضوحاً في تناولهم لمصطلح النبر في العربية، إذ بيّنوا مجموعة من الأصوات التي يقع فيها النبر، وبينوا أن النبر ما هو إلا ارتداد للصوت في موضعه، وهو ما لا نجده عند علماء القراءات القرآنية في حديثهم عن مواضع النبر في القرآن الكريم.

ومن المواضع أيضاً ما يتعلق بالاختلاس، فإن النحاة أشاروا إلى أن مفهوم الاختلاس يتمثل في إخفاء الحركات من حيث النطق بها، وعدم تمكينها في مواضعها، ونطق تلك الحركات بغير إشباع[3].

---

[1]– الأزهري: معاني القراءات، ج: 2، ص: 165.

[2]– المبرد: المقتضب، ج: 1، ص: 194.

[3]– ابن جني: الخصائص، ج: 1، ص: 73.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هذا هو مفهوم الاختلاس عند النحاة، فيه إشارة إلى إخفاء الحركات، غير أننا نجد ابن الوراق (ت: 381هـ) يربط بين مفهومين هما: الاختلاس والروم، فالاختلاس عنده هو نفسه الروم، يقول: "فأما الروم فهو الاختلاس للحركة، وهو مما يدركه البصير والضرير"[1].

ومن ناحية ثانية فإن علماء القراءات لم يقولوا بأن الروم هو نفسه الاختلاس، بل بيّنوا أن الاختلاس يرتبط بتخفيف الحركات، وربما بحذفها، نحو قولهم: كبْد، بدلاً من كبِد، فأسكنوا الباء اختلاساً، وهو يقع في الضمة والكسرة دون الفتحة[2].

يظهر من كلام ابن الوراق أنه خالف النحاة كما خالف علماء القراءات في حديثهم عن مفهوم الاختلاس، إذ بيّن أن الاختلاس هو نفسه الروم، مع الأخذ بعين الاعتبار أن هذا مفهوم، وهذا مفهوم آخر يختلف عن ذاك.

ومن ناحية أخرى فإن النحاة كانوا يرون أن مفهوم الاختلاس يشير إلى معنى سرعة نطق الحركات، أو إخفائها، في حين أن هذا المعنى لا نجده عند علماء القراءات، فهم يشيرون إلى أن الاختلاس يدل على إسقاط الحركات، يقول أبو علي الفارسي (ت: 377هـ): " واعلم أن الحركات التي تكون للبناء والإعراب يستعملون في الضمة والكسرة منهما ضربين، أحدهما: الإشباع والتمطيط، والآخر: الاختلاس والتخفيف، وهذا الاختلاس والتخفيف إنما يكون في الضمة والكسرة، فأما الفتحة فليس فيها إلا الإشباع، ولم تخفّف الفتحة بالاختلاس، كما لم تخفّف بالحذف، في نحو: جمل، وجبل، كما خفّف نحو: سبع وكتف"[3].

---

[1]– ابن الوراق: علل النحو، ص: 156.

[2]– انظر: ابن مجاهد: السبعة في القراءات، ص: 105، والفارسي: الحجة للقراء السبعة، ج: 2، ص: 452.

[3]– الفارسي: الحجة للقراء السبعة، ج: 2، ص: 83.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فالمصطلح عند النحاة دال على معانٍ مختلفة، في حين أنه عند علماء القراءات يدل على تخفيف الحركة بإسقاطها، وهو أمر يخالف فيه علماء القراءات النحاة.

ومن خلال ما سبق يمكن القول بأن مصطلح الاختلاس عند علماء القراءات أشد وضوحاً منه عند النحاة، إذ إنهم دلّوا بهذا المصطلح على معنى واحد، في حين أن النحاة يدلون بهذا المصطلح على غير معنى، كالتخفيف، والإخفاء، وسرعة النطق بالحركة، وهذا ما لا يوافق طبيعة الاصطلاح، فالأولى بالمصطلح أن يدل على شيء واحد فحسب ضمن الحقل العلمي الواحد، الأمر الذي يمنحه دقة ووضوحاً.

وقد نشأ عن هذا التشعب لمفهوم الاختلاس عند النحاة خلطهم بين مفهوم الاختلاس من جهة، والروم من جهة أخرى، إذ لو كان مفهوم الاختلاس محدداً عندهم تحديداً دقيقاً لما أدى ذلك إلى هذا الخلط.

وفي موضع آخر يبين فيه الزجاج (ت: 311هـ) اختلاف علماء القراءات في تحديد مفهوم الإشمام، فقال: "واختلف القراء في هذا الإشمام، فقائل: هو إشارة بالعضو من غير صوت كالإشمام الذي في الوقف، وهذا هو المعروف، وقائل: هو إشارة للحركة المدركة بالحس فهو كالروم في المعنى، يعني: أنه إتيان ببعض الحركة"[1].

إن كلام الزجاج (ت: 311هـ) السابق يشير إلى اختلاف بين علماء القراءات في تحديد مفهوم الإشمام، فمنهم من جعل له معنى خاصاً به، ومنهم من جعل معناه كمعنى الروم، غير أنه سماه الإشمام، وهذا خلط في المعاني والدلالات بين المصطلحات الصوتية.

---

[1]- الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، ج: 3، ص: 303.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفي الوقت الذي بدا فيه الزجاج (ت: 311هـ) يشير إلى اختلاف أهل القراءات في تحديد مفهوم الإشمام حدد أبو جعفر النحاس (ت: 338هـ) مفهوم الإشمام والروم تحديداً دقيقاً، وذلك إذ يقول: " والإشمام ما ضممت به شفتيك ولم تسمع معه صوتاً, وروم الحركة ما سمعت له مع ضمك لشفتيك صوتاً, كما يستعمل القراء في المرفوع"[1].

فهذا الكلام من أبي جعفر النحاس (ت: 338هـ) يدل على تحديد مفهومي الروم والإشمام تحديداً دقيقاً، وهو ما لم يكن واضحاً عند علماء القراءات كما يظهر من خلال كلام الزجاج (ت: 311هـ) السابق.

يقول ابن الوراق (ت: 381هـ) في مفهوم الروم والإشمام: " والفصل بين الرّوم والإشمام أَن الإشمام إِنَّمَا يفهمه الْبَصِير دون الضَّرِير، لأنّه عمل بالشفة بعد الْفَرَاغ من الْحَرْف. فأما الرّوم فهو الاختلاس للحركة، وَهو مِمَّا يُدْرِكه الْبَصِير والضرير"[2].

فهذا الكلام يعني أن الاختلاف واضح بين علماء القراءات من جهة، والنحاة من جهة أخرى، إذ ثمة اختلاف بين علماء القراءات في تحديد مفهومي الروم والإشمام، غير أن هذا الاختلاف لا نجده عند النحاة، بل إنهم وضعوا تحديداً دقيقاً لمفهوم الروم والإشمام، فكان ذلك سبيلاً لعدم الاختلاف بينهم ضمن هذا المصطلح.

ومن مظاهر الاختلاف بين علماء القراءات والنحاة أن علماء القراءات تناولوا الحديث عن ظاهرة السكت، في حين أن النحاة لم يتحدثوا عنها ضمن حقبة الدراسة.

نجد أبا علي الفارسي (ت: 377هـ) يذكر السكت في حال قراءة "الداعي" فإن القارئ إذا قرأها بالوصل أثبت الياء، أما إذا سكت عليها سكتة خفيفة دون وقف فإنه يقرؤها بغير ياء[1]، فهذا

---

[1]– النحاس: عمدة الكتاب، ص: 197.

[2]– ابن الوراق: علل النحو، ص: 156، وانظر: ابن جني: الخصائص، ج: 2، ص: 330.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يعني أن مفهوم السكت عنده يتمثل بالوقف الخفيف على الكلمة الذي لا يرقى إلى حد كونه وقفاً أو قطعاً للقراءة.

فهذا يعني أن علماء القراءات قد تميّزوا عن النحاة في أنهم تناولوا الحديث عن السكت دون أن يتناوله النحاة.

وفي نهاية هذا الفصل يشير الباحث إلى مجموعة من النتائج التي توصل إليها، وهي على النحو الآتي:

أولاً: لا شك أن مواضع الاتفاق بين النحاة وعلماء القراءات في جانب المصطلحات الصوتية والظواهر الصوتية المختلفة أكبر بكثير من مواضع الاختلاف، إذ إن مواضع الاختلاف بينهم في أغلبها ترتبط بجزئيات المصطلحات الصوتية لا بأسسها، أما الأصول والثوابت فهي ثابتة عندهم.

ثانياً: انفرد النحاة ببعض المصطلحات التي لم يتطرق علماء القراءات القرآنية للحديث عنها، كمصطلح "فُوَيق" في مخارج الأصوات، ومصطلح "موضع" للدلالة على مكان صدور أكثر من صوت في القناة الصوتية، كالدال والتاء والطاء.

ثالثاً: كما انفرد علماء القراءات بالحديث عن بعض المصطلحات الصوتية التي لم يتطرق النحاة للحديث عنها كمصطلح السكت الذي رأيناه في الظواهر الصوتية.

رابعاً: هناك بعض الخلط عند كلا الطرفين في الظواهر الصوتية ومفهومها، فنجد أن مفهوم الاختلاس يختلط بمفهوم الروم عند النحاة، كما أن مفهوم الإشمام يختلط بمفهوم الروم عند علماء القراءات.

---

[1]– الفارسي: الحجة للقراء السبعة، ج: 6، ص: 403.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الخاتمة والنتائج

وبعد أن أتم الله علينا هذه الدراسة، فلا بد من إيراد مجموعة من النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة، وذلك وفقاً لما يلي:

يعد منهج النحويين في الحديث عن القضايا الصوتية ومصطلحاتها أكثر دقة من منهج علماء القراءات، وذلك لأن النحويين أفردوا أقساماً خاصة للحديث عن الظواهر الصوتية ومصطلحاتها ضمن كتبهم النحوية، في حين أن علماء القراءات تحدثوا عن القضايا الصوتية ومصطلحاتها وفق ملحوظات عامة ذكروها في أثناء حديثهم عن القراءات القرآنية وآيات الكتاب العزيز.

بالرغم من أن علماء القراءات كانوا أقل دقة في منهجهم من النحويين عند حديثهم عن القضايا الصوتية ومصطلحاتها إلا أنهم كانوا أكثر شمولاً في تناول تلك القضايا، فربما تحدث أحدهم عن قضية صوتية واحدة في غير موضع من كتابه، في حين أن النحاة ـ في أغلبهم ـ تناولوا القضايا الصوتية ضمن قسمها الخاصّ دون العودة إلى القضية ذاتها في موضع آخر.

كان هدف علماء القراءات من إيرادهم للقضايا الصوتية تفسير القراءات القرآنية، وبيان وجهها، وتوضيح ما جرى بها من تغيرات صوتية، وتوجيه تلك القراءة توجيهاً صوتياً سليماً، في حين أن هذا الهدف لم يكن حاضراً عند علماء النحو، بل كان هدفهم من إيراد القضايا الصوتية بيان ما يجري لأصوات العربية من إبدال وقلب وإدغام وغير ذلك من الأحوال التي تعتريها، فالهدف عند علماء النحو أكثر شمولاً منه عند علماء القراءات.

يتفق النحاة مع علماء القراءات في المصطلحات الخاصة بمخارج الأصوات في أكثر الأحيان، ويختلفون في بعضها على ما بين الباحث في الفصل الثالث، وخاصة فيما يتعلق بجوانب أعضاء النطق، ووصف النطق بالصوت.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كان علماء القراءات يتناولون الحديث عن مخارج الأصوات عند حديثهم عن علاقات تلك الأصوات ضمن القراءات القرآنية، في حين أن علماء النحو أفردوا لتلك الأصوات حديثاً خاصاً ضمن كتبهم النحوية.

أكثر النحاة تابعوا سيبويه فيما ذهب إليه من حديث عن مخارج تلك الأصوات، وربما كان هذا الأمر أيضاً بالنسبة لعلماء القراءات، فإنهم مطلعون أيضاً على نتاج النحاة.

لم يختلف النحاة كثيراً عن القراء في الحديث عن صفات الأصوات من حيث مصطلحاتها، فإن تلك المصطلحات تتشابه في عمومها، غير أن هناك بعض الاختلافات في بعض التفاصيل.

يستمر علماء القراءات في الحديث عن صفات تلك الأصوات من خلال عرضهم لعلاقات تلك الأصوات مع بعضها بعضاً قلباً وإدغاماً وإبدالاً، فإن هذه الأحوال التي تعترض على الأصوات لها حظها الأوفر في الحديث عند علماء القراءات، لذا يتناولون الحديث عن مظاهر تلك الصفات ضمن حديثهم عن تلك الظواهر، في حين أن علماء النحو يتحدثون عن تلك الصفات ضمن مباحث منفصلة في أكثر الأحيان.

اتفق النحاة وعلماء القراءات في المصطلحات التي تخص أعضاء النطق اتفاقاً كبيراً، فهذه الأعضاء بمصطلحاتها كما ترد عند النحاة ترد عند علماء القراءات.

لم يصل هذا الاتفاق في تلك المصطلحات إلى حد التطابق التام، بل ثمة بعض الفروقات السطحية التي يفترق بها الطرفان، ولكنها لا تمس الأصل العام الذي لوحظ عندهم.

كما اتفقوا على إيراد مصطلحات ما ضمن حديثهم عن أعضاء النطق، فإننا نجدهم متفقين أيضاً على عدم إيراد بعض تلك المصطلحات، كالحنجرة، والوترين الصوتيين، واللهاة، والحنك الصلب، والحنك اللين، وهكذا.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إن علماء القراءات يوافقون علماء النحو فيما ذهبوا إليه من معنى لمصطلح الثقل والخفة، فهذان المصطلحان يعملان على فكرة التعادل بينهما، فالثقيل تسعى اللغة إلى تخفيفه، وحيثما يوجد الثقل توجد الخفة، وهذا كله ورد عند النحاة وعلماء القراءات ضمن الحديث عن ظواهر صوتية تؤدي بالكلمة إلى الخفة، كالإدغام، والقلب، والحذف، وسواها من الظواهر الصوتية الأخرى.

هناك اتفاق كبير جداً بين علماء النحو وعلماء القراءات في المصطلحات الصوتية الداخلة ضمن عناصر المستوى الصوتي، وهذا الاتفاق ليس مستغرباً؛ وذلك لأن كثيراً من علماء القراءات هم عارفون بالنحو، فما يأخذوه من علماء النحو يستمروا عليه في حديثهم عن القراءات القرآنية.

كان النحاة أكثر تنظيماً في حديثهم عن المصطلح الصوتي ضمن كتبهم المتخصصة، إذ كثيراً ما نجدهم يفردون أبواباً خاصة لهذه الظواهر أو تلك المسائل الصوتية، كباب الإمالة، وباب الإدغام، ومخارج الأصوات وصفاتها، وغير ذلك، في حين أن علماء القراءات لم يكونوا كذلك، بل تناولوا الحديث عن هذه المصطلحات الصوتية ضمن حديثهم عن القراءات القرآنية وآيات القرآن الكريم، بالرغم من أن حديثهم كان وافياً في ذلك.

تظهر المصطلحات الدالة على المسائل الصوتية عند النحاة وعلماء القراءات وفق نظام متشابه، فهم يذكرون مثلاً الظاهرة باسمها وباشتقاقاتها، مثل: الخفة، تخفيفاً، الثقل، واستثقالاً، واستثقلوا، والنبر، والنبرة، ومنبور، وينبر، والروم، ورام الحركة، وهكذا.

يخلط علماء القراءات في حديثهم عن المسائل النحوية فيما بينها، ففي الوقت الذي يتحدث فيه عالم القراءات القرآنية عن مخرج الصوت يتحدث عن صفته، وربما تحدث عن ظاهرة الإدغام في الموضع ذاته، الأمر الذي لا نراه عند علماء النحو.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لا شك أن مواضع الاتفاق بين النحاة وعلماء القراءات في جانب المصطلحات والظواهر الصوتية المختلفة أكبر بكثير من مواضع الاختلاف، إذ إن مواضع الاختلاف بينهم في أغلبها ترتبط بجزئيات المصطلحات الصوتية لا بأسسها، أما الأصول والثوابت فهي ثابتة عندهم.

انفرد النحاة ببعض المصطلحات التي لم يتطرق علماء القراءات القرآنية للحديث عنها، وهي كمصطلح "فُوَيق" في مخارج الأصوات، ومصطلح "موضع" للدلالة على مكان صدور أكثر من صوت في القناة الصوتية، كالدال والتاء والطاء.

كما انفرد علماء القراءات بالحديث عن بعض المصطلحات الصوتية التي لم يتطرق النحاة للحديث عنها كمصطلح السكت الذي رأيناه في الظواهر الصوتية.

هناك بعض الخلط عند كلا الطرفين في الظواهر الصوتية ومفهومها، فنجد أن مفهوم الاختلاس يختلط بمفهوم الروم عند النحاة، كما أن مفهوم الإشمام يختلط بمفهوم الروم عند علماء القراءات.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثبت المصادر والمراجع

الأثري، أكرم بن محمد زيادة: المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري، تقديم: علي حسن الأثري، دار الأثري، عمان . الأردن، ودار ابن عفان، القاهرة . مصر، الطبعة الأولى.

الأخفش، أبو الحسن سعيد بن مسعدة: معاني القرآن، تحقيق: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة . مصر، الطبعة الأولى، 1410هـ، 1990م.

الأزهري، أبو منصور أحمد بن محمد الهروي: معاني القراءات، مركز البحوث بكلية الآداب، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1412هـ، 1991م.

الاستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن: شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، 1975م.

بشر، كمال: دراسات في علم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر، عمان – الأردن، د.ت، د.ط.

ابن الجزري، أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد بن يوسف: النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى ببولاق، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، د.ت.

ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي: الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ـ مصر، الطبعة الرابعة، د.ت.

سر صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، 1421هـ، 2000م.

المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف، الطبعة الأولى، 1420هـ، 1999م.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المنصف، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، دار إحياء التراث القديم، الطبعة الأولى، 1373هـ، 1954م.

ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس: الجرح والتعديل، دائرة المعارف الإسلامية، حيدر أباد ـ الهند، ودار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1271هـ، 1952م.

حجازي، محمود فهمي: علم اللغة العربية، دار غريب للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، الطبعة الأولى، د.ت.

حسان، تمام: اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، بيروت ـ لبنان، الطبعة الخامسة، 1427هـ، 2006م.

مناهج البحث في اللغة، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، د.ت.

الحفيان، أحمد محمود عبد السميع: الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1421هـ، 2000م.

ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد: الحجة في القراءات السبع، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة، 1401هـ.

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت: تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1422هـ، 2002م.

الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان: التيسير في القراءات السبع، تحقيق: أوتو تريزل، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، 1404هـ، 1984م.

الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل: معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، دار عالم الكتب، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1408هـ، 1988م.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهوندي: اللامات، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر، دمشق . سوريا، الطبعة الأولى، 1405هـ، 1985م.

ابن زنجلة، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد: حجة القراءات، دار الرسالة، الطبعة الأولى، د.ت.

السخاوي، أبو الحسن علم الدين علي بن محمد بن عبد الصمد المصري: جمال القراء وكمال الإقراء، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، دار المأمون للطباعة، دمشق ـ سوريا، وبيروت . لبنان، الطبعة الأولى، 1418هـ، 1997م.

ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري بن سهل: الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، د.ت.

السعران، محمود: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة ـ مصر، الطبعة الثانية، 1997م.

سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة . مصر، الطبعة الثالثة، 1408هـ، 1988م.

السيرافي، أبو محمد الحسن بن عبد الله: شرح أبيات سيبويه، تحقيق: محمد علي الريح هاشم، مراجعة: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، 1394هـ، 1974م.

الصالح، صبحي إبراهيم: دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1379هـ، 1960م.

عبد التواب، رمضان: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة ـ مصر، الطبعة الثالثة، 1417هـ، 1997م.

بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر، الطبعة الثالثة، 1415هـ، 1995م.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عمر، أحمد مختار: أسس علم اللغة، دار عالم الكتب، القاهرة – مصر، الطبعة الثامنة، 1419هـ، 1998م.

العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى: مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1427هـ/ 2006م.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسن. معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة . مصر، 1979م.

الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار: التعليقة على كتاب سيبويه، تحقيق: عوض بن حمد القوزي، الطبعة الأولى، 1410هـ، 1990م.

الحجة للقراء السبعة، تحقيق: بشير جويجابي وبدر الدين قهوجي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح، أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، دمشق . سوريا، وبيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1413هـ، 1993م.

الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي: معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة . مصر، الطبعة الأولى، د.ت.

الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو: العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت – لبنان، د.ط، ود.ت.

فندريس، جوزيف: اللغة، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، 1950م.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

القادوسي، عبد الرازق بن حمودة: أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية تاج العروس نموذجاً، رسالة دكتوراة، جامعة حلوان، إشراف: رجب عبد الجواد إبراهيم، مصر، الطبعة الأولى، 1431هـ، 2010م.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: غريب القرآن، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1398هـ، 1978م.

ليونز، جون: اللغة وعلم اللغة، دار النهضة العربية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، د.ت.

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي: المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، دار عالم الكتب، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، د.ت.

ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس التميمي البغدادي: السبعة في القراءات، تحقيق: أحمد شوقي عبد السلام ضيف، دار المعارف، القاهرة . مصر، الطبعة الثانية، 1400هـ.

مكي بن أبي طالب، أبو محمد حموش بن محمد: مشكل إعراب القرآن، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، 1405هـ، 1985م.

ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم المصري الإفريقي: لسان العرب، دار صادر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، 1414هـ.

النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل: إعراب القرآن، وضع حواشيه وعلّق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1421هـ.

عمدة الكتاب، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم للنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1425هـ، 2004م.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد: الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت . لبنان، الطبعة الثانية، 1417هـ، 1997م.

وافي، علي عبد الواحد: علم اللغة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، د.ت.

ابن الوراق، أبو الحسن محمد بن عبد الله بن العباس: علل النحو، تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشد، الرياض . السعودية، الطبعة الأولى، 1420هـ، 1999م.

أبو الوفا، علي الله بن علي: القول السديد في علم التجويد، دار الوفاء، المنصورة – مصر، الطبعة الثالثة، 1424هـ، 2003م.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

Abstract

Al-harbi, Wasmi bin Lafi Talaj. The Phonetical Issues and its Terms Between Arab Grammarian and Quranic Recitations.Master Thesis. Yarmouk University, 2015. (Supervisor:Dr. Mustafa Taher Al-hayadreh).

The current study is discussing the Phonetical issues and its terms between Arab grammarian and Quranic recitations within place and time framework represented in the first four centuries and in the Arab region. Based on this, the study is divided into an introduction, three chapters and a conclusion as follows:

The introduction explained the term and the Phonetical terms as well as the conjunction between grammarian and Quranic recitations and the most important scholars in that period.

The first chapter was devoted to the methodology of each part in dealing with Phonetical terms. The second chapter dealt with the terms they had agreed upon. Meanwhile, the third chapter investigated the terms they had disagreed upon within the different Phonetical levels.

The study concluded many findings that might go with the efforts done, as well as a strong communication level between both scholars and this is not strange as most of them were students of grammarians and vise versa.

Key Words: The Phonetical Issues. Arab Grammarian. Quranic Recitations.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University